A-PDF Image To PDF Demo. Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

نساء عصفت بهن الحرب

مركز الأبحاث والاستشارات القانونية للمرأة
Center For Women's Legal Research & consulting

نساء عصفت بهن الحرب

مركز الأبحاث والاستشارات القانونية للمرأة
Center For Women's Legal Research & consulting

جميع الحقوق محفوظة
مركز الأبحاث والاستشارات القانونة للمراة

غـــزة - 2015

تقـــديم

صيف ساخن عاشه سكان قطاع غزة المليون وثمانمائة ألف نسمة عندما شنت قوات الجيش الاسرائيلي عدوانها الحربي على قطاع غزة والذي استمر لمدة 51 يوما متتالية في الفترة من 7/8- 2014/8/26.

الهجمات العسكرية لم تستثني زاوية من أرجاء القطاع وعبر كافة المنافذ البحر والجو والبر، آلاف الأطنان من المواد المتفجرة بشكل مركّز وعشوائي أُلقيت على منازل المواطنين والمساجد والمستشفيات والمؤسسات والمقرات الحكومية والأهلية والأراضي الزراعية، وخلّفت خسائر مدمرة في الأرواح والممتلكات عانى وسيعاني منها سكان قطاع غزة لسنوات طويلة قادمة.

دفعت النساء ضريبة هذا العدوان كباقي الشعب وتحملت الآثار المدمرة من هدم المنازل والقتل والجراح والخوف والتشريد والحصار الاقتصادي، وخسائر النساء كما جاءت في حصيلة أعمال الرصد والتوثيق المشتركة التي نفذتها مؤسسات حقوق الإنسان ووزارة الصحة إلى أن (293) سيدة قتلن على أيدي قوات الاحتلال خلال العدوان الإسرائيلي الأخير (الجرف الصامد) كما أُصيبت (2168) سيدة بجراح، وتعرضت (600) سيدة للإجهاض وتم ولادة 14% من الاطفال بتشوهات كاملة، عدا الخُدّج الذين وصل عددهم إلى سبعين ، من ناحية ثانية هُجّرت (34697) سيدة جراء تدمير منازلهن بشكل كلّي أو تضررها بشكل جعلها غير صالحة للسكن، فيما هدمت قوات الاحتلال (2604) منزلاً تملكها النساء، و فقدت (791) سيدة أزواجهن الذين قتلوا على أيدي قوات الاحتلال.

و كما تتحمل النساء أعباء الحماية الاجتماعية لعائلاتهن وأسرهن يتحملن أيضا أعباء الفقد لواحد أو أكثر من أفراد الأسرة سواء فقد الأزواج أو الآباء أو الأبناء، ويتحملّن كافة الأعباء النفسية التي خلّفتها

الحرب على أفراد أسرهن نتيجة الضغط الاجتماعي والاقتصادي والنفسي والانكشاف المعلن للقضايا الخاصة للعموم بسبب التهجير والتشرد في أماكن النزوح، وهو ما أنتج مشكلات حقيقية داخل الأسر مثل الطلاق أو من آثار فقد الأبناء والأزواج بسبب العائدات المالية من المساعدات والتعويضات ومخصصات الشهداء.

إن مجموع الانتهاكات التي تعرّض لها الشعب في قطاع غزة والنساء بوجه خاص تأتي في سياق سياسات دولة الاحتلال الإسرائيلي المستمرة منذ احتلالها للأراضي الفلسطينية عام 1967، حيث تمارس خططها وسياساتها المنافية للقانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان في فلسطين، وتضرب بعرض الحائط كافة القرارات الدولية المستندة لهذه المواثيق بما فيها مخالفة ما جاء في اتفاقيات جينف وخصوصا الاتفاقية الرابعة الخاصة بحماية المدنيين أثناء الصراع.

ويأتي هذا الكرّاس الذي نضعه بين أيدي المؤسسات الرسمية والأهلية وصناع القرار والباحثين/ات ، حيث يضم توثيقاً لمجموعة من قصص النساء اللواتي عشن ظروف العدوان بكل تفاصيله وعانين ولا زلن من نتائج الانتهاكات التي تعرضن لها، كأحد أنشطة مشروع "التمكين القانوني للنساء وتعزيز حقوقهن " في محافظة غزة " بتمويل من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي " UNDP/PAPP برنامج دعم سيادة القانون والوصول للعدالة.

مديرة المركز

أ.زينب الغنيمي

أمام المرآة في لحظة غير عادية (1)

بقلم / زينب الغنيمي

تمرُ بسرعة من أمام المرآة في طريقها لجمع الملابس المبعثرة للزوج والأولاد، ربما بعد ساعة سيكون موعد عودة التيار الكهربائي لذا يجب تحضير الغسّالة لكسب الوقت، مرة أخرى تحركت أمام المرآة تذرع الغرفة جيئة وذهابا، هذه المرة اصدمت عيناها بالمرآة فتوقفت أمامها، تتأمّل تلك المرأة التي هي عليها، حدّقت لبرهة ثم أعادت التحديق، هل هذه أنا ؟!!، وجه نبت فيه شعر الحاجبين وأعلى وأسفل الفم ، لبرهة استعادت ذاكرتها جملة سخيفة غضبت كثيراً عندما سمعتها من أحدهم "نساء غزة بشنب وذقن ". دقّقت في ملامحها أكثر ، شعر غير مرتب، ملابس كثيفة رغم حرّ الصيف، فقد اعتادت منذ أكثر من شهر ومع بداية العدوان أن تنام بملابس الخروج استعدادا للهرب في أي لحظة من خطر ما قد يُداهم منزلهم، وحسب رأي أختها الأكبر التي نصحتها بذلك " عشان إذا متنا نموت مستورين " .

حدّثت نفسها أمام مرآتها، منذ متى لم تستمتع بالشعور بالتحرّر من كل ما علِق بها من آثار الحرب ؟، كم مرة اغتسلت خلال أسبوعين ؟، عكست المرآة علاقة الثياب هاهو قميص نومها الأزرق في مكانه و رغم أنها تفضله على غيره من ملابس نومها لم تجرؤ على ارتدائه منذ أكثر من شهر. على طاولة المرآة كل أدوات زينتها الشخصية يعلوها الغبار لأن شبابيك الغرفة دائما مفتوحة خشية تكسّر الزجاج من قصف قريب، تحسّست وجهها المتعرّق، انتبهت لخشونة يديها فمنذ زمن لا تذكر أنها وضعت عليهما كريما مرطبا بعد الانتهاء من أعمالها المنزلية، نظرت إليهما وتحققت لم ازدادت خشونتهما، نعم فخلال شهر وبسبب انقطاع الكهرباء كانت تغسل الثياب بيديها .

دقّقت النظر مجددا في مرآتها شعرت بمرارة في فمها، تنهدت، لمحت عيناها زرقة قميص نومها، اجتاح داخلها ثمة حنين وعاطفة ناعمة وهي تنظر لانعكاس مفرش سريرها الذي لازال على نفس الترتيب منذ شهر وأكثر، لم تتمكن أن تستمتع بالراحة في فراشها، فجميعهم هي وزوجها وأربعة أبنائها وبناتها متقاربي الأعمار

(1) عن اللواتي استشهدن ولم يتمكّن من الإفصاح عن أنفسهن

يتدحرجون بجوار بعضهم في مساحة ضيقة على فراش أرضي في الممر الضيق وسط البيت بعيدا عن الحوائط المكشوفة والشبابيك خوفا من أن تنالهم شظية ما أو بعضا من صاروخ طائش، تأملت نفسها وسمحت أن يعلو قليلا صوتا من داخلها نحو أذنها وعيناها لازالتا محدقتان في المرآة، كم تشعر برغبة في لحظة حنان واحتضان خفيف وتربيتة على كتفها، اشتاقت لنظرة حنونة من زوجها، اشتاقت لليلة حميمة ترتدي فيها ذلك القميص الأزرق فقبل ليلة فقط كانت ذكرى زواجها الذي كان قبل اثني عشر عاما، اشتاقت لجلسة عائلية جميلة فقبل أسبوع كان عيد ميلاد ابنتها مرّ دون احتفال، تمرّ المناسبات والليالي وكل العائلة مثل كومة قش في الممر الضيق والقصف شديد وهي تخشى أن يحترق هذا القش في جحيم هذه الحرب الملعونة.

ابتعدت قليلا عن المرآة تستعجل حركتها فقد حضّرت حقيبة الملابس اليدوية بغيار لكل فرد في عائلتها الصغيرة، وأخذت تملأ حقيبتها ببعض الأوراق الهامة، هويات، جوازات سفر، شهادات الميلاد، عقد الزواج، عقد ملكية الشقة ، صورة عن ورقة قرض البنك الذي لم يتم تسديده فقد سحبته على راتبها من أجل استكمال تشطيب البيت، دارت مثل نحلة هنا أو هناك تحاول ألّا تنسى شيئا ما قد يكون مهما، صوت زوجها يستعجلها، وابنتها الصغرى تسألها عن عروستها، لقد كانت هنا أم هنا، إسوارة وحيدة بقيت من آثار حليّها الذي باعته قطعة قطعة بسبب استكمال أثاث المنزل، نعم تذكّرت إنها في الصندوق الصغير على طاولة مرآتها، عادت نحو المرآة تفتح الصندوق وتمد يدها لأخذ الإسوارة ، اصطدمت عيناها مجددا في المرآة وأطالت التحديق، عادت الصورة التي تخيلتها قبل قليل، احمرّ وجهها من سخونة الخجل، لِمَ سمحت لهواجس نفسها أن تطفو على سطح مرآتها، إن التوقيت غير مناسب لمثل هذه الأفكار، ماذا يعني شعر غير مرتب وحواجب كثيفة ووجه باهت ويدان متقشفتان ولا ليلة حميمة، أنّبت نفسها ولامت مرآتها وخشيت أن تكون أحساسيها غير عادية، لا، لا، كيف لها أن تفكّر بهذه الطريقة هناك قتلى وهناك جرحى، عليها أن تخجل فبيتها لازال على حاله وعائلتها الصغيرة لازالت بخير، وعليها أن تتعجّل نفسها لتضع الغسيل في الغسالة ، وتستكمل تحضير حقيبتها ، زوجها يذكرها بأوراق مهمة تخص عمله ، صوته يأتي من بعيد هيا بسرعة علينا الخروج الآن الشقة في الأعلى قيل أنها مستهدفة، علينا الخروج بسرعة، ردت بصوت أتى من بئر عميق أنا قادمة،

قبل أن تلتفت لمعت مرآتها بوهج شديد، شعرت بشيء دافئ انبثق من رأسها لطّخ مرآتها بلون أحمر، لثوان محدودة حاولت أن تبقى واقفة ولكن تلقاها السرير الذي لم تلجأ إليه منذ أكثر من شهر، ابتعدت الأصوات لم تعد تسمعها، انتهت الثواني ولم تعد هواجسها موجودة، فلم يعد هناك مرآة ولا إمرأة .

قصص
بقلم
خضرة حمدان

أتراني ميتة!

كانت جالسة في زيارة خاطفة لمنزل ظنّته لها، قَدِم شقيق زوجها الشهيد من مكان ما وخاطب والدته" خلّصنا يمّا كل إشي صار معنا" قالت له والدته:"هيك كتير كويس ولما يكبر " أحمد" بنشتريله أرض" شعرت بالارتباك أو على الأرجح بالذوبان وكأنها قطعة من السكر تذوب في ماء ساخن.

قالت:" هل متّ أنا هل استُشهدت مع زوجي، هل أنا جثة أمامهم؟ تشعر بحيرة كاملة فلماذا يقررون ما هي أهلٌ له، وما يمثل لها دافعاً للحياة، تتساءل هل موتها سيمثل راحة لعائلتها وعائلة زوجها، تقول أنه حين يقرر الجميع بدلاً عنها ويرغمونها على الموافقة تشعر أنها ليست على قيد الحياة وأنه كان من المفضل لو لقت حتفها معه أبو بعده.

" مريم" " 72 " عاماً ودت لو أن ذويها سمحوا لها بإكمال تعليمها ولو أنها تعلمت المحاماة كي تدافع عن المظلومين والضعفاء وتسترد حقوقهم ممن يعبث بها ويسلبهم إياها تماماً كما هو حالها، وبأبسط الامنيات لو أنها ذات مهنة وعلم كي تسترد طفلها الذي تُحرم منه أياماً طويلة ويُنتزع من بين أحضانها لينام مع أقرانه من أبناء عمومته.

من أحد شوارع حي الشجاعية بغزة ومن بين أزقتها المتطرفة والحدودية تتخذ مريم مكاناً قصياً عن عائلتها، شقيقاها الاثنان اللذان تشاطرهما المنزل بعد أن فقدت زوجها في العدوان على غزة 2014، لا يقومان بدورهما الأخوي على ما يجب، تجلس في إحدى غرف المنزل ذات الأثاث المتهالك والجدران الرطبة المشققة، وتهز سرير طفلتها " سمر" ذات الثمانية أشهر وتشعلها نار الاشتياق لابنها " أحمد" ذو العامين والنيف الذي قررت جدته لوالده أن تقسم أيامه بينها وبين أمه " مريم" "أربعة لك وأربعة لي" في قسمة ضيزى لا تراعي زوجة ترملت صغيرة ولا أما تريد التشبث برائحة الزوج ولا حتى فتاة لأهل ضيعهم الفقر وتناوشتهم الفِرقة والتشرذم ولا يستطيعون الدفاع عن حق شقيقتهم خشية الدخول في معترك من الشجار العائلي هم

بغنى عنه، ولذلك تقرر " مريم" مرغمة التنازل عن كثير من حقوقها كأرملة وأم.
تقول باكية:" الإنسان بعد إمه وأبوه ما إله حدا بالدنيا" تضيف:" يا ريتني متت بعد "..." حبيبي" تقصد زوجها هو ارتاح من الدنيا وتركني للهَم لحالي" فما هي هموم هذه السيدة التي تبدو جميلة خلف دموعها، ويكاد يكون جمالها هو عين البلاء لاسيما بعد أن هددها شقيق لها يعيش في بيت مستقل بأنها حرة التصرف فيما إذا أرادت العيش في منزل زوجها الشهيد مقابل عدم الإساءة لسمعتها ولو بالشُبهة فحينها سيكون الحل " الدم" .
قال لها بعد طول عراك ونقاش محتدم:" بدك تروحي تعيشي ببيت أهل جوزك روحي انتي حرة بس إذا بسمع اشي بينك وبين سلفك راح يصير دم للرّكب" هنا تراجعت فهي لا تفقه في علم الحياة الكثير، وركنت لمنزل عائلتها المتهالك محرومة من ميراث زوجها المتمثل في البيت والذكريات ومن ابنه الذي لا تستغني عنه جدته ومن أموال طفليها ومخصصاتهم وكفالاتهم كل ذلك مرغمة خشية نشوب عراك وشجار عائلتها لا تستطيع تحمل تبعاته.
" أتعلمين " تقول :" أشتاق لأشم رائحة زوجي في منزلنا وأشتاق لأن أضم أبنائي بين أحضاني في بيت مستقل لي ليتني أستأجر بيتاً بعيداً عن الجميع" فهل يقبل المجتمع بذلك تتساءل، مضيفة أنها ذهبت على حين غرة في زيارة خاطفة إلى منزل زوجها الشهيد وصعدت إلى الطابق العلوي حيث هو ففوجئت باثنين من أشقائه يقومان بتركيب حماية لنوافذه بعد أن قرروا الاستيلاء عليه والسكن فيه، تصف نفسها قائلة:" شعرت بسيف يقطع رقبتي فهذا منزلي كيف يأخذونه مني ومن طفليّ"!.
في أحد المرات قال لها والد زوجها أنه بحاجة لها لصرف أحد مخصصات الشهيد وهناك قدّمت لها موظفة البنك راتب ثلاثة أشهر للشهيد فقامت هي بسحب النقود كلها فما كان من والد زوجها الشهيد إلا الصراخ عليها واتهامها بالغباء وعدم الحرص على أموال طفليها، فقامت بإعطائه كل النقود وقابلها بمنحها مائة دولار " يلا بكفيكي هاتي بمبرز لبنتك" وتثاقلت عائدة لمنزل ذويها وكل ما رأته وعايشته بعد ثمانية أشهر من استشهاد زوجها يكفيها، ويثقل كاهليها ولا تعلم هل تستطيع ان تكمل حياتها على هذا المنوال أم انها يجب أن تقف وقفة شجاعة لتجمع شملها مع طفليها في بيت واحد وتحت سماء واحدة!

سيرمونها خارجاً لأنها " مواطنة"

قرار طردهم من مراكز الإيواء أشبه بإلقاء قنبلة في وجهها، لأنها ليست كما الآخرين، هي ببساطة أرملة ما قبل العدوان على غزة 2014، وهي من سكان غزة الأصليين أي انها مواطنة لم تقطن يوماً منزلاً تملكه فلم يمتلك زوجها أي أملاك خاصة وكذلك ذويها.

العدوان الأخير دمّر منزلها المستأجر فانتقلت من مركز إيواء لثان لثالث لرابع، واليوم لا تجد مكاناً يحتوي دموعها ويستر عورة عائلتها المعوزة بعد تهديد وكالة الغوث لهم برمي حاجياتهم إن لم يغادروا مركز الإيواء قبل الأول من آذار/ مارس من العام الجاري "والله ما بعرف الي عنوان ولا وين أروح" هكذا تلخص قصتها ومعاناتها، الاحتلال انتهك كل حق لها بسكن آمن، وآخرون ضيعوا حقها في مأوى لا دائم ولا مؤقت.

مرفت " 54 " عاماً من مواطني مدينة غزة حي الشجاعية، حين توفي زوجها الذي كان مسئولاً عن المنزل وعن أبنائه التسعة - أربع بنات وخمسة أولاد- ترك لها إرثاً ثقيلاً من المسئوليات أولها منزل مستأجر بصعوبة تدبّر له الإيجار الشهري الذي يعادل 600-700 شيقل، إلى جانب ابن أصم متزوج رفعت زوجته قضية نفقة وطلاق ضده لأنها ببساطة لا تقبل العيش في مركز إيواء، وثان كفيف حركته تتطلب مساعدة كاملة من والدته وثالث سُجن في أحد سجون غزة على ذمة مالية وزوجته على وشك وضع أول مولود لها في مركز الإيواء - أو ربما في خيمة على البحر لأن الأم لا تجد مكاناً يأويها مع من تبقى من عائلتها حين يتم طردها وآخرين من مركز الإيواء- ورابع يبلغ من العمر 12 عاماً أكثر من يتمناه في هذه الحياة بيتاً يضمه ووالدته التي حفيت قدماها من كثرة " اللف" على الجمعيات والمؤسسات التي ترجو ان تساعدها وتوفر لها ولأسرتها ولو حتى غرفة صغيرة.

خطؤها الوحيد أن بيتها المستأجر منذ العام 1983 في منطقة الشجاعية شرقي مدينة غزة دُمّر بالحرب الأخيرة وهي لا تستطيع تلقي أي أموال عوضاً عنه أو حتى بدل إيجار والسبب أن مالكة المنـــزل تقطع يميناً

أن ذلك المنزل يخصها وحدها وألا أحد قطنه كمستأجر في حياته، وبذلك استحوذت على كل أموال التعويض، ويرفض من يقوم بالتعويض صرف أي مبالغ لعائلة لا تملك عنواناً وهذه العائلة مسئولها الوحيد هو السيدة مرفت.

مرفت مواطنة أي أنها من سكان غزة الأصليين، فوكالة الغوث غير مسئولة عن منحهم أي تعويض عن مساكنهم التي دمرها الاحتلال في عدوانه الأخير كما هي مسئولة عن اللاجئين الاخرين وعن ذلك تقول المواطنة مرفت:" يعني إحنا الآن ما صرنا لاجئين زينا زيهم تدمرت بيوتنا ومش لاقيين مكان نعيش فيه".

هي تخاف على بناتها اللواتي قدمن معها إلى مركز الإيواء كما تخاف على نفسها من أمور تخص السيدات وحدهن ولا تستطيع قطعاً الوفاء بها في مكان يقطنه خمسون شخصاً في صف واحد وآلاف في مساحة خمسمائة متر مربع هي مركز الإيواء، لا تستطيع " مرفت" أو زوجات أبنائها قضاء حاجتهن في دورة مياه تبعد عن الصف - مدرسة بنات الزيتون الإعدادية وسط مدينة غزة- مسافة لا بأس بها، ويضطررن غالباً للاستحمام في الصف في " طشت واسع" وقضاء حاجتهن في " دلو صغير" على مسامع الأسرة النائمة إلى جانبهن.

" مرفت" الأم التي تحتار بين واجبها الأسري المعهود وواجبها الطارئ كرب منزل والمسئول الوحيد عنه حالياً لا تعرف من أين تبدأ وإلى أين تنتهي، بين جمعيات إغاثية ووزارات لا سيما وزارة الأشغال العامة والإسكان حيث بات شكلها الخارجي مألوفاً للجميع داخل الوزارة، إلى السجن حيث يتواجد ابن لها، إلى المشفى حيث تتابع زوجة ابنها الحامل، إلى جانب اصطحاب ابنها الكفيف إلى مدرسته ذهاباً وإياباً، السيدة لا تعلم حقاً كيف تبدأ يومها إلا أنها تعلم أنها باتت مريضة وبحاجة لعملية جراحية لا تملك ولو جزءاً يسيراً من تكاليفها، فتقول:" صار عندي غضاريف بظهري من كتر الجراي.. رجلي بوجعوني كتير وأحياناً بحس حالي بزحف وما بصل ..أنا بحاجة عملية لظهري وما معي فلوس".

" كان يا مهون بيت بسترني أنا وولادي" تقول مضيفة:" انهديت بعد الحرب جسدياً ونفسياً أنا بطلت قادرة أتحمل بدي مكان أعيش فيه".

أما عن نتيجة لفها على الجمعيات تقول:" بجري كل يوم وبدوخ السبع دوخات لحد ما ألاقي شي وبين

روحي وثقي وصوري وصدقي على الاوراق أحياناً ما بطلع بشي".

وازداد الحال سوءاً حين طالبت صاحبة البيت المستأجـر عائلة مرفت عبر قضية في محاكم غـــزة ما قيمته 2400 شيقل بدل إيجار عن أربعة أشهر كانت عائلة مرفت لم تدفعه حيث أنها لم تكن تملكه بالأساس وهو ما عاد بالفائدة في الوقت نفسه على العائلة التي أخيراً تستطيع أن تمتلك دليلاً على انها كانت تقطن ذلك المنزل من خلال هذه القضية.

الأم التي يلتبس عليها الحال في كثير من الأوقات تقول:" كتير أحيان بكون بدي أعيط بس بخبي دموعي وين بدي أعيط أكيد اولادي ما راح يكونوا قادرين ومتحملين يشوفوني بعيط ويتأكدوا أني مش قادرة على المسئوليات كلها، بصراحة الان بدي أعيط وسامحوني" وبدأ البكاء...

روت قصتها واختفت

" س" جميلة للغاية وصغيرة فعمرها لم يتجاوز بعد العقد الثاني" يخزي العين حولها وحواليها" تقول سيدة هي امرأة بجسدها وطفلة بعقلها ورغباتها، ولكنها للأسف اختارت طريقاً دفعه لها هو، والآخرون الذين أهملوا ابنتهم ووضعوها في رقبة رجل يغيب أغلب الوقت عن واقعه فلا يعلم ممن هو متزوج أو لمن هما ذاكما الطفلين، ثم يعود لحاضره فيضربها وينهرها.

منذ ثلاثة أيام يروي الجميع أنها اختفت عن الأنظار فلا هاتف يجيب ولا أهل يعلمون أين هي ولا حتى زوج تركته وحيداً نائما في مركز الإيواء يعلم أين زوجته المسجلة على اسمه، بعد ثلاثة أيام تغيب دون أن يقوم أي منهم بإبلاغ مراكز الشرطة او حتى تكليف نفسه بالبحث عنها بالمشافي أو غيرها، هم يسألون ولا يملون من السؤال عما إذا قدمت لمركز الإيواء وتكون الإجابة النفي القاطع ودون ذلك يلفهم الصمت وكأنهم لا يبالون.

حين تمت المقابلة في مركز الإيواء قبل اختفائها بأيام وقبل أن يقوم المسئولون عنها بتسليميها لذويها القاطنين وسط قطاع غزة قالت انها متزوجة رغما عن إرادتها قبل أن تبلغ السن القانوني وأنها حملت بطفلها الأول وكانت سعيدة، وكان زوجها سعيداً فقد كان يعمل بمجال البناء ولكنها حين وضعت طفلتها الثانية كـان الوضع المادي سيئاً وكان زوجـها في بداية طـريقه لتعاطي المسكن الذي يقال عنه الترامال، " قلت اله ما تاخذ هالمدعوق وما رد علي لحد ما صار مدمن" تقول، مضيفة " وبدت حياتي تسوء".

خلال العدوان على غزة هرب زوجها -المواطن والذي يقطن مدينة غزة حي الشجاعية شرقاً- برفقة عائلته الزوجة والطفلين إلى مركز إيواء وسط المدينة، حيث تم طرده وعائلته من المركز الأول فالثاني فالثالث لما قيل عنه "سوء أخلاقه" ولأنه يقوم بتعاطي " الترامادول" برفقة آخرين داخل الصف ويسيء لسمعة المكان؛ على حد تعبير المسئولين كما تقول.

تضيف:" شو بدي فيه، طول اليوم شارب ونايم ولما يصحى يا بضربني يا بصرخ بوجهي وبغلط وكل الناس بتسمع صوتنا"، تلخص حياتها معه بالقول انه مدمن على عقار الترامادول ما قبل العدوان الأخير على غزة، وأن زواجها منه كان رغماً عنها، حين رزقت بطفلتها كان قد بدأ بتعاطي الترامادول ولم يكن يستطيع التركيز في أي مجال عمل.

قبل العدوان الإسرائيلي على غزة في تموز/ يوليو من العام 2014 الجاري كان يقطن في غرفة مستأجرة بعد أن طرده أشقاؤه من المنزل ــ وفي العشرين من ذات الشهر هرب كما الجميع من منطقة الشجاعية إلى مركز الإيواء، وهناك" دُقت الويل" تقول، فزوجها أخذ يبيع المساعدات والمعونات الغذائية التي تصرف لهم ويبتاع بدلاً عنها الترامادول، إلى جانب جلب أصدقاء " سيئون للمكان" وهؤلاء يُعجبون بزوجته " تقول سيدة مجاورة لهم،" فيساومونها عن نفسها وأحياناً كانت تستجيب" على حد قول ذات السيدة.

تقول " س" أنها كانت تتلقى منه الكثير من الكلمات من العيار الثقيل، إلى جانب إفطاره في شهر رمضان خلال الحرب، وعدم سؤاله أو الاهتمام بأطفاله او بها وعدم سؤالها عن حاجاتها او المبالاة بأجواء الحرب والخوف والهروب، وكان يهرب من ذلك كله بتناول العقار المسكر، وفي كثير من الأحيان كان يُقدم على ضربها ضرباً مبرحاً ويقوم المسئولون على المركز بتخليصها منه.

أما ما كانت تشكو منه بقوة فهو قيامه بجلب أصدقاء مدمنون مثله إلى غرفة الصف وحينها لم تكن قادرة على النوم، أو نيل ولو جزء يسير من الراحة والاسترخاء في غرفتها المؤقتة المفترض انها ملك لها ولو بشكل مؤقت، وهذا خلق لديها حالة من "اللامبالاة" كما تقول سيدة مسنة بالمركز مضيفة أنها كانت تجلس كثيراً خارج الصف على أحد المقاعد الدراسية وكانت السيدات يشعرن بالحرج والخشية عليها كونها جميلة وقد تجلب أنظار الرجال فيقوم أي منهم باستغلال ذلك فيطلبن منها الدخول إلى أي من صفوفهن ولكنها كانت ترفض" كما تقول السيدة.

" س" اختفت ويقوم والدها بالاتصال يومياً على المركز للسؤال فيما إذا عادت مرة أخرى فيتلقى إجابة بلا، في حين قام زوجها بمغادرة المركز ولا يعلم أحد إلى أين...

قهرها بالهجر ستقهره بالخلع

" لن أكون جيدة للزواج يعني بالعربي أنا مش نافعة للجيزة بعد اليوم" يوم فارق في حياتها كان ذلك اليوم حين اضطرت صابرين مرغمة لتلقّي رأس شقيقتها فاطمة فوق ساقيها اللتان بترتا في نفس اللحظة، صابرين " 19 " عاماً كانت بالقرب من غرفة بعيدة بعض الشيء عن كل ما كانت تعتقده خطراً إبان الحرب الأخيرة على غزة، ولكن قدرها كان أسرع من كل شيء فكان ما كان ".

هي لن تقول تلك الكلمات لأي صحفي أو باحث - أنا مش نافعة للزواج - بل سترمقه بكل النظرات القوية التي لا ترتد، ستشعره بالحيرة من كونها لا ترمش لها عين، تلك النظرات هي كالسيف أو أشد حدة، تحمل كل معاني الاستهزاء والغيظ والقهر مما حدث لها وكأنها تلوم الجميع والأدهى والأشد مرارة ذلك الرجل الذي كانت مستعدة لربط حياتها بحياته، لم يكلف نفسه بزيارة ولو خاطفة لها، تلك الفتاة التي بادلته مشاعر الحب والغرام ورسمت خطا لحياتها معه، فزاد هجرانه لها من شعورها بالخوف والحيرة على مستقبلها وعما إذا كانت قادرة على استكمال مسيرة الحياة بلا قدمين، هي حتى بعد مضي أربع شهور على الحرب غير مستعدة للحديث حتى مع الأقربين الذين ينالهم النصيب الأكبر من الصراخ والعصبية والاستهزاء.

تقول شقيقتها الكبرى أنهم ثمان فتيات استشهدت إحداهن وأصيبت صابرين، وثلاث شبان في بداية عمر الشباب أحدهم معاق ذهنياً، وهن يحاولن التخفيف عن شقيقتهن مصابها وإشعارها أن جسدها كامل حتى بدون ساقين وقدمين إلا أنها لا تتجاوب بل تقابل الجميع " بالنكد" اليومي.

" صابرين" كانت الأطول بين شقيقاتها والآن هي الأقصر قامة، كانت شعلة من النشاط والآن هي بحاجة الجميع لمن ينقلها للسرير، لمن يغسل لها جسدها، بحاجة لمن يأخذها لقضاء حاجتها وبذلك دائماً تخاطب شقيقاتها" أنتو قرفانين مني أكيد وما بتحبوا كمان تاكلوا معي" فتكون الإجابة " لا والله يا اختي ليه بتفكري بهاذا التفكير" ؟ سؤال يبقى معلقاً.

كان سقوطها من بين ذراعي شقيقتها الكبرى الأشد إيلاماً على نفسها، حين حاولت شقيقتها حملها إلى سيارة طلبنها لنقلها من مركز الأطراف الصناعية إلى المنزل، فسقطت صابرين لأن شقيقتها تعاني أيضاً من تضخم في الغدة الدرقة ما أشعرها بالدوار للحظة حينها كانت الطامة التي ما انفكت لحظة إلا وانهالت عليها صابرين بالعصبية والصراخ والصمت في الكثير من الأحيان.

في الثامن والعشرين من تموز/ يوليو 2014 حين إصيبت في منزلها المتهالك حالياً ومن قبل، كانت تحاول جاهدة هي وشقيقتها فاطمة" 24 " عاماً إعداد وجبة إفطار رمضانية ذات مذاق بعيداً عن الوجبات التي توزعها وكالة الغوث على النازحين في مراكز الإيواء، كانتا على بُعد من الغرف التي كانتا تظنان أنها خطيرة، ولكن دون سابق إنذار فاجأهن صاروخ اسرائيلي جاء من الجانب الشرقي للمنزل واخترق ثلاث أسوار اسمنتية ليصل إلى الشقيقتين، فاطمة ألقاها الصاروخ إلى أحضان شقيقتها صابرين التي رأت رجليها وقد قطعتا بفعل الصاروخ، وبسرعة البرق جاء صاروخ ثان ليقطع رأس فاطمة ويلقيها بعيداً ويصيب صابرين في ذراعها الأيسر ويجرح وجهها ببعض الشظايا لتغيب فوراً عن الوعي، ويتم تحويلها كحالة موت سريري إلى مصر وهناك يتم إنقاذ حياتها دون قدميها وتعود لغزة لتبيت أربعة أيام في مشفى الشفاء دون أن ترى وجهه ذلك" الخطيب".

في مصر قالت لشقيقتها الكبرى حين استيقظت" أنا بطلت نافعة للجيزة خلاص بديش اتجوز" لتقرر بذلك إنهاء فترة الخطوبة مع شاب يعمل في أحد الورش بعد ثمانية أشهر، انتظرته لتقول له ذلك ولكنه لم يأت... يكمن في داخلها شيء يقال عنه قهر، كما توضح شقيقتها قائلة" انقهرت وتركه إلها زاد الطين بلة" مضيفة" طلع ابن... و..." كلمتان ثقيلتان بعض الشيء، " الأمر أربك العائلة والأم التي كثيراً ما تقابل ابنتها المصابة العصبية بالعصبية، لأن الأم تشعر بكثير من الهم بعد استشهاد فتاتها المدللة وإصابة ابنتها التي هي بالأساس جامدة ولا تلين لها سريرة، إلى جانب الفقر الملحوظ الذي يلم بالعائلة ولا يترك لهم مساحة من الفرح.

تقول الشقيقة الكبرى أنها تضطر لترك منزلها وأولادها وتأتي يومياً لتكون بجانب شقيقتها المصابة لتساعدها باحتياجاتها ولكنها كثيراً ما ترفض مساعدة أحد أو ترك سريرها الذي تلقته مؤخراً من إحدى

الجمعيات المتعلق عملها بمساعدة جرحى العدوان على غزة، فصابرين ترفض ترك السرير غالباً، وترفض التعامل معها كعاجزة ثم تتعامل مع نفسها كعاجزة وكثيراً ما استسلمت وصممت على قضاء حاجتها فوق سريرها انتقاماً على حد معرفتها من عجزها المفاجئ، وحين تُترك وحيدة يلحظ الجميع أنها تقوم بكتابة الأشعار تبكي حباً كان ولكنها بالمواجهة تؤكد انها ستتركه قبل أن يفكر في إرسال ورقة الطلاق لها وتنتقم لمشاعرها الأنثوية التي جرحها بهجره بعد ان جرحتها الإعاقة الجديدة.

تقول في لحظات الفرح:" لما يطلعلي مصاري راح اشتري خزانة وثلاجة وأملاهم شكولاته ومكسرات أسكر عليهم وما أطعمي حدا" وتلاحق هذه الفكرة الجهنمية الكثير من الضحكات والتعليقات من المحيطين بصابرين، فهم يتمنون أن تبقى على حالة من الفرح والإيمان بالقدر والمضي في مسيرة الحياة حتى بلا ساقين.

تُغلق عينيها على جراح لا تندمل

"أعتذر هل أدق باباً كاد أن يُغلق" حين بادرتها بالسؤال عن أحوالها تأوهت هي لم تكن تعلم أنني سأنال قليلاً من خصوصيتها بعد محاولتها التكيف مع ما أصبح حاضراً ولا تعرف له ملامح مستقبل، تتسلح بالإيمان وموهبة قديمة بالرسم ستقوم بتنميتها والالتحاق بالجامعة كي تعيل أسرتها بعده.

" سجلت بالجامعة مش عشاني؛ لا عشانهم؛ ما راح اعتمد على الكابونة طول العمر، بكرة أولادي بصيروا شباب خليهم يفتخروا بأبوهم وبإمهم" صحيح أنها تشتكي أنها لم تسيطر بعد على واقعها الجديد، ولكنها تقول أنها مدة زمنية لا تعلم كم ستطول حيث ستعود مالكة لنفسها ولأبنائها ولا يهمها في هذا الوقت أن تأخذ وصايتها عليهم، "بكفي أنا أخذت الحضانة وما بدي أولّد أي مشاكل بيني وبينهم" تقصد أهل زوجها الشهيد الذين تعود لهم الوصاية على أطفالها.

هبة" 35" عاماً من مدينة غزة هي أم لخمسة اولاد وزوجة لشهيد رأته يحترق أمامها حين استهدفه صاروخ إسرائيلي أمام باب المنزل حين كان عائداً من عمله كشرطي في حكومة غزة إبان العدوان الإسرائيلي على غزة 2014، الشهيد احترق أمام ناظريها والبيت انهار كومة واحدة فوق رأسها هي وأطفالها الخمسة كان نصيبها كسر بالفخد، وابنها الأكبر كسر بالذراع، وابنها الثاني جرح بثلاث أرباع فروة الجمجمة ودخل على إثرها إلى العناية المركزة والعناية الإلهية أرسلته من جديد لأمه، أما الثالث كانت إصابته بعينه، أخطرهم صهيب الأصغر ذو العامين والنصف أصيب باختناق أسفل الركام مما قلل وصول الأوكسجين إلى دماغه الذي أصيب بالتلف، واليوم هي تجر أمامها كرسياً متحركاً لمن كانت تأمل بحركة نشطة له ذات يوم، ولكنها متفائلة بشفائه كما تقول رغم أنه ذهب في رحلة علاج إلى تركيا وعاد منها دون جدوى على صعيد وضعه الصحي، ويتبقى طفلتها ذات الأعوام الثمانية لم تصب بأذى برحمة من ربها.

كان ذلك الحادث تذكره جيداً وتتمنى لو يأتي يوم فتنساه، تماماً في التاسع من تموز/يوليو من العـــام

2014 فوراً بعد نشوب الحرب بيومين على غزة، كان البيت في منطقة دير البلح وسط قطاع غزة، وهناك تم استهدافه رغم وجوده بالقرب من أبنائه على مسافة متر واحدة منهم، ما جعل المكان أشبه بيوم القيامة على حد وصفها.

" أنا حتى اليوم بصحى من نومي بصرخ لما تصاوبت أكيد رحت على اهلي وكان أخوي الصغير عريس وكان بترك مرته ويجي جنبي يهدّيني بأي لحظة أطلبه فيها" أما أطفالها فكان الأخوال والخالات يمارسون معهم أدوار المهرجين حتى يخففوا عنهم المصاب ولكن بلا فائدة فلا أحداً منهم يكاد ينسى ذلك اليوم لأنهم جميعاً استيقظوا تحت الركام وشعروا بالاختناق ومنهم من كان مكسوراً يصرخ نازفاً من الألم... حين عادت للمشي قال لها ذوو زوجها الشهيد أنهم يريدونها ان تذهب لأحد المحاكم لتنال حكماً بحضانة أطفالها، فعلت ولكن أحداً منهم لم يطلب منها بعد ذلك أن تنال وصايتها عليهم وهي وصاية قانونية تعود بموجبها كل الأمور المادية والمخصصات للشهداء والجرحى وكفالات الأيتام لها وحدها دون منازع، ولكن وفق قانون الأحوال الشخصية المعمول به في غزة فإن الوصاية تعود اولاً للجد ثم تنتقل للأم.

هي لا تعلم لماذا لم يقم جدهم المريض حتى الآن بالتنازل عن الوصاية لها ونقلها لعمهم أحد أبنائه، تتمنى لو تعود لها الوصاية ولكنها لا تريد أن تثير حساسيتهم خاصة أنهم يُقسمون لها أيماناً مغلظة انهم لن يسرقوا أبناء أخيهم الشهيد وأنهم سيحرصون عليهم كما يحرصون على أبنائهم من أصلابهم، ولذلك تراجعت بعض الشيء حتى اللحظة عن طلب الوصاية على أطفالها، خاصة أن أهل زوجها قاموا بالبداية ببناء بيت لها ولأبنائها مكان بيتها السابق، والأموال بالطبع كانت من مخصصات الشهيد، أما راتبه فلا خلاف عليه وهي تنال فقط 120شيكلاً من هذا الراتب الذي لا يتجاوز 1000 شيكل موزعة بين أسرتها المتبقية وعائلة الشهيد من أم وأب.

" هل سبق وأن حاولت هذه السيدة أن تتفاهم مع غيرها بشكل ودي عن الوصاية؟ تقول أنها لم ولن تحاول وفيما اذا قام أحدهم بسرقة أموال أبنائها الشهداء فإنها ستكاشفه ولكنها لن تسمح بأن تصبح هذه مشكلةً حاضرةً في الأذهان بينها وبين العائلة الكبيرة.

في السابق كانت تتساءل هل يمكنك مساعدتي كي أحصل على وصاية أطفالي ثم تراجعت لأن اهل

الشهيد أبدوا لهم نخوة وشهامة وطمأنوها بأنهم لن يخذلونها ولذلك هي لا تفكر بالبدء بأي صراع إن لم يُفرض عليها واقعاً، أما البيت فهو غير مسجل باسمها وهو ما يجعلها في حيرة من أمرها هل تواجه أن تصمت وجميع أحبائها يطالبونها بأن تطالبهم بتسجيل البيت باسمها ولكنها تقدم خطوة على المصارحة وتتراجع عشر خطوات خشية أن يتير ذلك حساسية بينها وبينهم، وهذا ما يشكل حالة من الضياع المؤقت لها لا تعلم متى ستلجأ لقوة القانون كي تستقر حياتها قائلة:" أنا لما أقف على رجلي وأسيطر على بيتي وأكون بوظيفة محترمة أصرف منها على أولادي أفضل من شحدة الكابونات" تختم حديثها بكثير من الهم والتفاؤل.

زينب تعيش لتروي موت جواهر

" كانت القذائف تتطاير عن يميننا ويسارنا، صوت الطائرات مرعب .. سمعنا صوت صراخ الناس حولنا، كنا خائفين نشعر بأننا بين لحظة وأخرى سنموت.. نزل الجميع إلى أسفل البيت وهناك كانت اللحظة الأخيرة لأكثرنا ومنهم أمي".

"زينب" تسعة عشر عاماً، عسلية العينين، بشرتها خمرية " تتحدث بطلاقة وبعربية محكمة وكثيراً ما تشيح بنظراتها إلى أعلى وإلى أسفل، فهي تستذكر أشد اللحظات قسوة يمر بها إنسان بعمرها مطلوب منه أن يحمي من هو أصغر منه.

إلى جانب ذلك فهي ترى دماءً تسيل ممن شكل لها دوماً درع حماية، والدتها "جواهر" السيدة الجميلة البيضاء التي حاولت على مدار اثني عشر يوماً من العدوان على غزة أن تهرب بفلذات كبدها فكانت هي واثنتان منهن ضحية لحرب لا ناقة لهن فيها ولا جمل واثنتان أخريان كانت جراحهما شاهدة حتى اليوم على أيام أليمة.

من " جـواهـر" ؟

في العشرين من تموز/ يوليو 2014 ذاك اليوم المتعارف عليه بيوم المجزرة الأكبر في حي الشجاعية شرقي غزة في أزقة شوارعها، كثيرون لن ينسوا مشاهد الدماء أسفل سلم منزل المواطن محمد عبد الرحمن الشيخ خليل في شارع البلتاجي، المكان الذي أصبح بركة دماء لسبعة شهداء أردتهم قذائف إسرائيلية حديثة الصنع هائلة التدمير إلى جانب مصابتان كانت جراح أحدهما خطرة والثانية طفيفة.من بين الشهداء السبعة كانت " جواهر" وهي سيدة وربة منزل، لديها من الأطفال سبع فتيات وطفل، حاولت أن تنجو بهم، حاولت بشتى الطرق حمايتهم فكان الموت أسرع منها فحين تغلق النوافذ وتجبرهم على الجلوس بشكل جماعي وسط

البيت خشية القذائف المترامية شرقاً وغرباً، وحين تحاول النزول للطوابق الأرضية أو أسفل سلم المنزل برفقة أطفالها فهي تحاول بذلك النجاة بنفسها وبعائلتها المكونة من سبع فتيات أكبرهن زينب تسعة عشر عاماً وأصغرهن نسيبة ثلاثة أعوام وجنين لم يكتمل بعد أن استقر برحمها منذ أشهر أربع.

"جواهر" " 73 " عاماً استقر جسدها النازف بين الأجساد الثمانية التي هربت لأسفل السلم- استشهد منهم سبعة وأصيبت العمة "حسنة" بجبينها- البيت الذي كان محط عدد من القذائف والصواريخ الإسرائيلية المتواصلة.

غبار وركام ودماء

كيف جرى الاعتداء على المنزل؟ وكيف قُضي أمر الشهداء السبعة ومن بينهم جواهر؟ تحاول "زينب" التغلب على حزن كامن تقول:" لم ننم نوما كافيا تلك الليلة، حاولنا التغلب على النعاس بعد أن تناولنا وجبة السحور وفي الرابعة فجراً بدأنا نسمع صوتاً مرعباً مستمراً قصف مدفعي وجوي من الطيران وسمعنا أصوات الناس تصرخ هاربة من المنازل الواقعة خلف منزلنا ومن الشوارع الخلفية القريبة من الحدود، أخذت شقيقاتي بالصراخ، حاولنا أن نضغط على والدنا للخروج من المنزل، قال أن الوضع خطير، ومن ثم هدأ القصف قرابة ساعة إلى ساعتين حاول أبي أن ينام وامي طلباً للراحة ثم عاد القصف وطلب أبي منا جميعاً النزول إلى الطابق الأرضي ومن يستطيع الوصول إلى أسفل السلم فعليه ذلك".

تواصل زينب:" لم يهدأ القصف لحظة واحدة، نزلت أمي وجدتي وعماتي الاثنتان وشقيقتاي وعمي وزوجته إلى أسفل السلم ونحن لم نستطع كنا على بعد درجات منهم، وكان القصف متواصلاً وبعض زجاج البيت يتحطم وحجارة تتطاير ونرى كأن النيران حولنا، كان أبي يحمل أنبوبة غاز أسفل السلم إلى أعلى حتى لا تنفجر، والغبار حولنا وفجأة مر بالقرب من رأسي صاروخ زنانة صغيرة اخترق الجدار الذي نحتمي به وهناك لم أستطع أن أسمع شيئاً أو أرى أي شيء فقد انتشر الغبار الكثيف فقط رأيت الحفرة التي حفرها الصاروخ خلفي حيث دخل منها الضوء، القصف كان متواصلاً ثم هدأ وبدأت الرؤية تتضح قليلاً، رأيت

شقيقي زياد رأسه يسيل ورجله مصابة أخذ ينادي والدي الذي ربط رجله بقميصه وأختي هبة مغمى عليها قال أبي لا تخافوا هي فقط مغمى عليها حملها ونزل لأسفل السلم ونحن خلفه رأينا بركة دماء، رن جوال جدتي وكان شقيقها طلبت منه أن يرسل الإسعاف، أبي أخذ يطلب الإسعاف من جوال أمي وأنا من جوال جدتي، كانت سامية أختي ملقاة بجانب الباب كلها دماء وعمتي عايدة ميتة والباقي يتنفس، سمعنا صوت الإسعاف، أبي حاول أن يناديه أخرج رأسه من الباب وأخذ مرة ينادي الإسعاف ومرة ينظر إلينا داخل البيت، ثم قلت له أنا سأذهب لأجلب الإسعاف، قال لي إن استطعت الوصول فلا تعودي إلينا، مشيت بين الركام والأشجار المقطعة الملقاة على الأرض تقريبا مشيت مسافة 300 متر رآني أحد المسعفين سألني" من وين جاية" وصفت له المكان وطلبت منه أن يسرع ليجلب الباقين قال لي لا تخافي وحاولي الوصول إلى سيارة الإسعاف، وحين وصلت رأيت الكثير من المسنين والجرحى بسيارة الإسعاف ورأيت الناس حولهم يحملون ما يستطيعون وكأنهم مهاجرين، وكنت في حيرة هل أعود أم أبقى بسيارة الإسعاف التي أسرعت إلى مشفى الشفاء وهناك حاول الأطباء إسعافي قلت لهم أنني لست مصابة فقط من أثر القصف أما الدماء التي على ملابسي فهي من أشقائي فقالوا انتظري قليلاً في صالة الاستقبال ذهبت وكنت خائفة على من هم في بيتي قلت في نفسي قد أكون الوحيدة التي نجت بحياتها".

تستكمل عمتها حسنة الحديث:" جواهر كانت تئن بصوت خفيض بين يدي زوجها أخي، وهو يحاول جاهداً إنقاذها من إصابتها التي شقت كتفها الأيمن إلى الأعلى من صدرها وبطنها، أنا ظننت أنني سأموت وكان حولي البقية بعضهم يفارق الحياة وأنا أراهم واحداً تلو الآخر إلى أن جاء الإسعاف وحملنا جميعاً".

ثلاث ساعات وعلم من بقي على قيد الحياة أن سبعة استشهدوا منهم "جواهر" لتترك خلفها أطفالها يعيش بعضهم مصاباً والبعض الآخر إصابته نفسية بالغة.

قصص
بقلم
أمال الجيار

زوجة قطعة أثاث

حياة متوجة بورود سوداء لا رائحة لها سوى الاضطهاد، رمى بجماحه صوب بحر هائج يخرج منه ضغينة البغض والكره ..

(ل.ح) ذات 30 عاماً، لديها ابنتان أصغرهم تبلغ عاماً ونصف العام، ويكبرها ابنة تبلغ الثلاثة أعوام، وتحمل في رحمها طفل لم يرى نور الحياة بعد، تقطن في غرفة في بيت والد زوجها، تعسرت عليها الحياة مرة أخرى خلال العدوان الأخير على قطاع غـزة، وازدادت قسوتها كالحجارة أو أشد تقــول: "أصيب أخ زوجي في عدوان 2014 في قدميه حتى شلت حركته، مما استدعى زوجي مساندته ومؤازرته" ومن هنا بدأت الحكاية الملتصقة بجدار الظلم "همشني زوجي طوال الحرب في الوقت الذي يتوجب عليه أن يجاورني فيه، يحميني من الخوف والقلق من فقدانه، كان يتركني بحجة انه يساند أخاه ولا نراه إلا ساعة أو أقل كل أسبوعين تقريباً ليقضي حاجته مني ومن ثم يذهب، ليعود في أسبوع الثاني ليعيد الكرة".

مرت أيام عجاف وهو قاطع أوصاله (ل.ح): " لم يسأل عني وكل ما يسأل عنه هو ابنتاي وأهله، ويعتبرني كقطعة أثاث لا فائدة منها، وحينما التئم جرح أخ زوجي لجّ في ملازمة أخيه دون حاجته ويبيت في غرفة أخيه غير عابئ بمشاعري واحتياجي الشديد له".

بُعد وجفاء وتقصير نواة ما أحل بها من هجران: "لم أطيق هجره لي، لم أطلب سوى حياة السعادة والاستقرار، لهذا أصررت على معرفة سبب هجراني، فتحجج بعدم اهتمامي بابنَتَاي وأهله ويتهمني بضربهن وأني لا أمُت للأمومة بصلة، وليصدمني أكثر بقوله أنه يريد امرأة تهتم بنفسها"...

بقيت تائهة بين شباك الحياة المعقدة المغزولة بخيوط الظلم واتهامات زائفة تقذف صوبها (ل.ح): " اتهمت بالاستهتار ووقاحة اللسان ولم يتوقف إلى هذا الحد بل يزيد بأنني أسرق ملابس أخواته لأسحرهن وادمر سعادتهن وأشبك بين الإخوة .. إلخ".

لم تتحمل المكوث أكثر ليدفعها بالانتقال لبيت أهلها حانقة، لعل الأيام توقظه من غفلته.
شهر ونصف كفيل بإحالتها إلى أدراج الهاوية لتدمر نفسيتها: "لم أحظى بلحظة هدوء في بيت أهلي، فسندي ونقطة حوار حياتي فقط زوجي، أصبحت مشتتة بلا أمن ولا استقرار".
التهمها دون أن يرتعد له جفن تقول (ل.ح): "لم ينفق عليّ فترة مكوثي في بيت والدي، وذهبت لدكتورة النساء والولادة لمعاينة حالة جنيني الصحية، وهنا طلبت مني شراء بعض الأدوية العلاجية، اتصلت بزوجي ليشتري الأدوية فكذبني، وأرسلني مع والدته على دكتورة أخرى مقربة منهم".
تستطرد: "أبلغني بأنه غير مجبور بدفع النفقة طالما كنت في كنف والدي، ومن ثم توجهت للمحكمة و رفعت قضية نفقة وكسبتها".
باتت تتمنى الموت لا البقاء في أحشاء الدجى الشنيع(ل.ح) :"رفعت قضية حضانة بعدما منعت من رؤية ابنتاي، فكسبت القضية وبعد الاتفاق معه على رؤيتهن يومين أسبوعياً، طبق ذلك في أول أسبوعين وبعد ذلك بدأت تتراشق عليّ اتهامات أخرى بضرب ابنتاي ضرب مبرحاً ولم يقبل زوجي إرسالهن إليّ، فتقدمت قبل عدة أيام برفع قضية حضانة أخرى، أرتجي بها أن أحصل على حضانتهن مرة أخرى".

ساعات في ليلة حمراء

تتتبع بعيونها ذلك المكان المظلم مرتعدة من هول ما رأته، وكأن شهب خارقة جعلتها تواري أياماً مضت بما تحمله في طياتها من مثقال ذرة خير أو شر.

(أ.ع) ذات 32 عاماً، متزوجة ولديها 6 من الأبناء أكبرهم 16عاماً وأصغرهم 6 أعوام، لم تكن تدرى أن تلك الليلة الحمراء بداية مشوار يلتصق بها ليشيبها، تقول: "وجدت ابنتي في حمام دم، اعتقدت أنني فقدتها، أحضرت الكشاف مسرعةً لتفقدها، وبعد مضى ثلاث ساعات استطعنا إخراجها من البيت وقد تصفى دمها".

في اليوم الثامن من العدوان الإسرائيلي على غزة، وفي ذاك الفجر الملوّن بالدم أصيبت ابنتها (ش.ع)، واستقرت شظية الغدر موزعة بين صوان أذنها ومخها وأعصابها، لتبدأ فصل حكايتها من جديد.

وبخفي حنين تعود (أ . ع) بعد أن حولّت الصحة ابنتها إلى مستشفى العربي بالأردن، قائلة: "امتنع الأطباء عن إجراء عملية لابنتي التي نسبة نجاحها 5٪ خوفاً من المضاعفات التي ستحل بها من شلل للحركة وفقد للبصر ناهيك عن التأثيرات الأخرى".

تردف: "فقدت ابنتي مناعتها والآن تستجيب لأي مرض يحل بها، ناهيك عن تدني مستوى سمعها والرشح والأنفلونزا الذي لازمها منذ أكثر من شهرين مما يتكبدني حسرة كلما نظرة إليها".

آلة الاحتلال راودت ليلتها وانتهكت حصنها فأطفأت نور ابتسامتها، وأوقدت النار في أحشائها، بعدما تغلغلت حسرتها على ابنتها التي لم تتجاوز الـ 10 أعوام.

(أ.ع) تقول :"لم يعد لدي وقت كافي، لم أنم ليالي طوال وأنا أفكر في حالة ابنتي الصحية التي تتدهور شيئاً فشيئا، لم يعد باستطاعتي التحمل أكثر، وأفكر في مستقبلها التائه، وأقف عاجزة أمام تفكيري المشتت".

وبحالتها التي يرثى لها تضيف :""كنت أهتم بزوجي وأولادي بشكل كبير، وبعد إصابة ابنتي أصبح كل شيء مهدد، أوشكت على نسيان أولادي، فتدنى مستواهم الدراسي بشكل ملحوظ، بيتي الآن هو آخر

اهتماماتي، فكل ما يهمني هو ماذا علىّ أن أفعل لأنقذ حياة ابنتي وأحلامها، أصبح لدي حالة نفسية وهوس لا أحسد عليه".

بريق دمعاتها يمرغ وجنتيها الشاحبتين من أثر الألم الذي ألم بها والعجز الذي يقف حائلاً أمامها: "ورشة دهانة سيارات التي كانت مصدر رزق زوجي قصفت في الحرب، وهو الآن بلا عمل، ولا استطيع توفير علاج ابنتي فكل ما أفعله هو التفكير يومياً من أين سأجلب المال لدوائها وعلاجها، وكيف لي أن أوفر لها متطلباتها التي تزداد مع تطور حالتها الصحية التي مازالت تتدهور شيئاً فشيئاً".

بشهقات وتنهيدات وآهات تجسّد ما حملته في أحشائها من عذابات: "أعصابي تلفت ولم يعد باستطاعتي تقديم أي شيء، كل ما أحمله بداخلي هو قلق وتوتر وخوف مما يحمله المستقبل، ويزداد كلما رأيت ابنتي (ش.ع) أمام عيني تتألم من أبسط الأمور، أخاف فقدانها والعجز أمامها".

حُصد زرع مر بعد أن وضع العدوان أوزاره على أعتابها وشتت أركانها، (أ . ع) تقول: "أريد الاستقرار أبحث عنه اختفى من قاموس حياتي وأخاف ألا يعود فالحصول عليه أصبح من المعجزات، حياتي تغيرت بكل تفاصيلها فالآن أغلب أوقاتي أتنقل بين المستشفيات باحثة عن من يشخص حالة ابنتي بعد أن استقرت احدى الشظايا بين صوان الأذن والدماغ".

ستة أشهر متتالية كفيلة بأن تنسي بعض الذكريات الأليمة ولكن (أ . ع) تتذكرها، وكأن الأيام تجمدت لتزيد حدة توترها وتضغط عليها من جميع النواحي التي أبت أن ترحم من تكالبت عليه المصائب و تزاحمت عليه هموم الحياة.

زينب . . حكاية ما بين فصولها حيرة وألم

بينونة صغرى وبينونة كبرى وما بينهما من فصول سردت من فم أغمسته الحياة بفضلاتها، والتي بصمت على محياها تجاعيد الماضي المذيلة بخيبات لا قبل لها..

زينب ذات 44 عاماً، تصارعت مع الأيام بعد انفصالها عن زوجها ولديها ستة أبناء مناصفة بين ذكراناً وإناثاً، فلم تكن تعلم أن انفصالها سيكون ظلم وخيم على عاتقها قالت: "انتقلت إلى حضن زوجي وأنا لم أبلغ 41 عاماً، أيام قضيتها لم تكن سوى وكر للهموم والظلم والضرب والإهانة ، اضطررت المكوث عشرون عاماً لأجل أولادي إلى أن انفجر كأس الصبر وتنازلت عن كل حقوقي وتطلقت".

فرحة الغيث ومذاقه يمحو قنوط ويأس نُقش على جدران خُبّئت بين ثنايا القدر، لتولج الأمل من جديد: "استقبلت حياتي الجديدة وحيدة ، تصديت لتلك النظرات البغيضة المصوّبة نحوي، عملت في مؤسسات لأوفّر لأبنائي حياة يسودها الأمن والكرامة ، عندي ولد متزوج وإبنة متزوجة أيضا وولدان مريضان والبنتين .

عشرة سنوات أنستها ملامح الاستبداد المهترئة، وصنعت الكرامة بيداها لينهض القدر مرة أخرى: "زارني باحث عدة مرات يتبع لأحدى المؤسسات التي تقدم كفالات إغاثية لتقديم المعونة والمساعدة ليّ، وما أن لبث يوما أو بعض يوم في متابعة حالتي ليصبح جار ليّ تربطني به علاقة حيرة لا بأس بها، غيرت مجرى حياتي ريثما أتاني برجل يخطبني، ليحتم النصيب بالقبول .

تدرأ أضغاث أحلام لمسايرة ما تبقى من العمر بطمأنينة، فترسم ابتسامة خفيفة ممزوجة ببعض التعب تقول زينب: "هاتفني زوجي في فترة خطبتي طالباً مني مساعدته في تسجيل اسمه في "كابونة" طارئة خاصة بالمنخفض الجوي في بداية العام المنصرم لدى وكالة الغوث، وذلك لتملكي كرت تموين لاجئ، وبالفعل حصل عليها، لتكون سبب في انهيار عائلي جديد".

حملت ليلة 21 من الحرب أوزارها لتلقها في أحضان زينب وتعيد لها سيرتها الأولى تقول زينب: "كنت أذهب يومياً إلي بيت زوجته الأولى المريضة أعاونها وفي المساء أغدو إلي بيتي مرة أخرى، استمرت بهذا الفعل إلى أربعة أشهر من زواجي، وكان يزورني كل أسبوع ثلاثة مرات، إلى أن جاءت الحرب فقصف بيت زوجته الأولى وبيتي لأنزح إلى مدرسة إيواء، وفي اليوم 21 من الحرب اتصلت بي المحكمة لإبلاغي بالحضور للمحكمة لاستلام ورقة الطلاق".

لم تلبث أن تبني بعض أمالها في تكتم أفواه جيرانها المسلطة صوبها بسبب طلاقها حتى تهاوت طريحة: "كانت تنشب مشاكل فترة زواجي لأني كنت مطلقة سابقاً، وبعد أن قصف بيته الذي بناه على أرض أخيه التي تبلغ مساحتها 200 متر، حتى تكالبت عليّ المشاكل خوفاً من أن آخذ التعويض المالي لبيت زوجي المقصوف لامتلاكي كرت تموين من وكالة الغوث، وبدأ أخيه بشتمي وتلفيق العار إليّ لأني مطلقة وكأن شريعتهم تمنع الزواج من مطلقة.." .

كطفل مظلوم آوى في قلبه حبه لمطلقة من رجل سابقاً، حارب من أجلها وتكالب عليه أهله لتطليقها تتابع زينب: "اجتمع إخوة زوجي التسعة وضربوه ضرباً مبرحاً ليطلقني، ولم يتوقف أمرهم إلى هذا الحد بل حاك أخ زوجي وزوجته فخاً لتطليقي بذهاب زوجة أخيه إلى مقر الشرطة لتشتكيه بأنه حاول الاعتداء عليها، لتكون الصاعقة لزوجي واضطراره لتطليقي رغم أنفه".

مساومة إخوة الزوج تثقل على عاتقها لتنهش نفسيتها وتحطمها وتجعلها تتساءل ما الذي دفعها للتزوج والتعلق به زينب: "انهارت نفسيتي وكأنه طعنني سكيناً بداخلي أو أطلق عليّ النار قتلني، كنت أشعر وكأن قلبي سيتوقف من خوفي على أولادي وصوت الطيران، وطلاقي للمرة الثانية، حاولت مساندة نفسي ولكني لم أستطع حتى صرت أزحف من شدة هطول الجمرات علي رأسي، إلى أن أصبت بعدها بمرض القولون العصبي".

تستفيض زينب: "لم أخرج من الأزمة سليمة فضربتين على الرأس صعبة، أتمنى لو لم تأتِ الحرب وبقيت مع زوجي فلازلت أحبه، ولحد الآن يهاتفني شبه يومياً يريد أن يعود إليّ بعد أن يحصل على نصيبه من تعويضات بيته الذي دمر بالحرب".

حرقة القلب الممزوجة بخزعبلات الماضي وسقوط صخرة على رأسها لم يزدها إلا قوة في الصلابة لتقدم حبها له بطريقتها: "لم أرفع قضية نفقة ولا عفش ولا مؤخر، لأنني أعلم بأنه مظلوم ووضعه المادي سيء، أريد أن أتيح له فرصة ليعود مرة أخرى بعد تطليقي بطلقة رجعية، الآن أنتظر إلي أين ستقذفني لعبة الأيام".

هي وهو
مسلوبا الإرادة.. ولا خيار

قارب النجاة لم يرفع أشرعته إذ يغشاها الضباب، ولم تعد ترى نجوم الأمل بين أجنحة الليل الحالكة، لتحتضن الألم بطريقتها وتكحل عيناها بدموع الظلم..

(س.ك) ابنة الـ 25 عاماً، ضجيج الحياة تكالب عليها ونزع منها مستقبلاً رسمته في مخيلتها، تلك الأم التي لم تنجب إلّا طفلا لم يبلغ العام ونصف العام، ليحرم منها بعد أن طويت ليال السعادة والفرح ووضعت بين صفحات الماضي..

تلك الوجنتان المطليات بالحب والسعادة والوفاء داهمها وحش العدوان الأخير على قطاع غزة 2014 ليحولهما إلي ساحة معركة بين من احتضنوها (س.ك) تقول: "أقطن في شقة فوق شقة والد زوجي، وفي العدوان هدم بيت أهلي، ونزحنا جميعاً إلي مدرسة ايواء ولم تمضي أيام إلا وجاءت التهدئة التي اعلن عنها اليهود، لنعود إلي بيت أهل زوجي واصطحب معي أهلي بعد فقدان ملاذهم".

أسهبت في سرد عما انبثق عن تلك الغبار الرمادية: "لم يطق والد زوجي ذهاب والدي كل يوم إلي إلى السوبر ماركت الخاص به، وإيداع ما يهب لهم من "كابونات" في بيتي، ولكن سرعان ما تحولت تلك الأيام إلى نار ملتهبة بينهما، ليضطر أهلي إلي الانتقال لبيت أجرة، فلم يسلموا من مضايقات أهل زوجي حينما كانوا ينتقلون".

أضغاث أحلام استبدت على شفا جرف يهوى بها سبعين ألف خريف (س.ك) تقول: "أرسلوني مع والدي أنا وابني منذ 7 أشهر، وحصلت على نفقة، وبعد مضي ثلاثة أشهر أخذوا ابني مني ومنذ تلك اللحظات لم استطع رؤيته".

وجهاء المخاتير لم تستطع تقديم شيء لها تسترسل ودموعها تسيل على وجنتيها: "توجهت للمخاتير لأحل المشكلة بود ولكن لا جدوى، فقررت التوجه لمحامي ورفع قضية حضانة ومؤخر وعفش البيت بعد الخيبة التي لحقت بي".

تاهت كلماتها وهي تحنّ لأحضان الماضي (س.ك): "عرضوا أهل زوجي عليّ العودة شريطة السكن في بيت أجرة وترك بيتي، وفي الوقت ذاته عارض أهلي ولم يقبلوا عودتي إلا لبيتي، وهنا جلست مشتتة وكأنني في دوامة لا مخرج منها".

نخزات متتاليات تفقدها الأمل "أنا وزجي متمسكان ولكننا لا نستطيع فعل شيء طالما هناك خلاف بين الجهتان".

تكمل (س.ك) فصول حكايتها التي ترطمها من كل حدب وصوب: " أشعر بالغربة في بيت أهلي، أصبحت محطمه، مشتتة لا تكفي كلماتي وصف ما أشعر به، كنت متزوجة وعدت كما كنت بنت أعيش تحت كنف والدي، لم يعد باستطاعتي المضي في هذا المتاهة وعدم الاستقرار أتمنى أن تعود لي كينونتي المسلوبة".

كل ما ترتضيه السكينة بعدما جفت القلوب وتباغضت النفوس، وتبقى الحيرة أي باب يوصل إلى طريق النجاة.

امرأة بين عقارب ساعة

بين أجنحة الليل المتخفية وإطار الحياة المذيل بالنقمة تتسارع عجلة الأيام، وكأن شيء يحدث في أروقة تلك الغرف المزجاة.

عقارب الساعة تدق واحدة تلو الأخرى وحبل معلق في سقف تلك الغرفة وكرسي خشبي تقف عليه مترددة، أثمة للحياة بقية أم حان وقت الفراق المنتظر..

(ن.ح) ذات الـ 38 عاماً، معلقة ولديها خمسة من الأبناء، أكبرهم 24 عاماً وأصغرهم 8 أعوام، أرهقتها الحياة بمتطلباتها المتواليات بلا رحمة، لا تدرك من أين يندفع الألم صوبها، تقول: " تزوج زوجي خفية ولم أعلم إلا بمحض صدفة، وعندما أنجبت زوجته الثانية توأمان أحدهما معاق هجرني زوجي ولم يعد يعلم عنا شيء".

لتتوه في شباك الحياة المعقدة والمغزولة بخيوط الاستبداد باكية الظلم: " استغل أخ زوجي غياب زوجي عني ليسلط ابني الأكبر عليَّ محاولاً منعي من الخروج من المنزل مدعياً خوفه من كلام الناس، لم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه ليتطاول عليَّ أبنائي ويضربونني".

لم يكن انتقالها إلى بيت أهلها والمكوث فيه أكثر من أربعة أعوام أفضل بكثير، لتتساوى الأطراف الثلاثة وتحيلها إلى نقطة البداية...

(ن.ح): "غرفة الضيوف لدى أهلي هي ملاذي، مكان نومي وغرفة تدريس أبنائي الاثنين، وفي حال جاء ضيف أخرج من الغرفة باحثة عن الاستقرار والراحة المتخفية".

لم تتوانى عن جهد لاسترداد حقها حاملة بجعبتها قضيتان هجر وأخرى تعليق لتكسب الحكم فيهما قبل العدوان الأخير على قطاع غزة وينفذ بعد أربعة شهور أو يزيد.

ناري الحنين والأمـــومة يشعلهما العدوان الأخير الذي حمـــل في طياته الكثير لينكّل بها ويحفر في ذاكرتها

بشاعة الأيام وجور الأهل في كثير من الأحيان (ن.ح) تقول: "اشتياقي وخوفي على أولادي رغم أنهم يعيشون في بيت والدهم، لايختلف عن خوفي على الذين احتضنهم منهم، فوالدتي لم تتحمل أبنائي الإثنين في فترة الحرب مما اضطرني لإرسالهم عند أخوتهم الآخرين لتشتعل نيران الخوف أكثر، فيما ازدادت وتيرة المشاكل بيني وبين أهلي فأضربت عن الطعام مدة خمسة أيام متتاليات وقررت النوم على سطح البيت لكن والدي رفض، ولازالت على هذا الحال إلى أن أعدت أولادي إليّ بعد أسبوع".

لم تحظَ بفرحة اللقيا بعد، فظلم الأهل لازال يمكث هنا دون أدنى حركة تتابع: "منعت من الذهاب عند أولادي أو المكوث عندهم من قبل أهلي، ناهيك عن المشاكل المتصاعدة حينما أخرج من البيت لأتتبع قضاياي في المحكمة من نفقة الأولاد والمتأخر".

ويهيمن التفكير على عقلها يوماً بعد يوم محاولة ترك المجهول للقدر، لعله يحصد ما زاغت عنه الأبصار، وينبت الحق من جديد وتفوز بحصولها على ما انتزع منها بالقوة..

قصص
بقلم
رزان المدهون

عنف الزوج المدمن وإهمال الأهل و مصير " ياسمين "

ابتسامة شاحبة ترتسم على وجه " ياسمين" , وبصوت خافت متردد تبدأ في رواية قصة الظلم التي وقعت عليها , ففي غرفة ضيقة ضعيفة الإنارة في بيت مستأجر للعائلة برمتها, تجلس " ياسمين" بلا أي نوع من الخصوصية حيث تضطر لارتداء ملابس الصلاة طوال النهار كنوع من الحشمة, بعد ما دمرت الحرب بيتها إثر المجزرة التي ارتكبها جيش الاحتلال في منطقة الشجاعية, العمارة التي تضم شقق العائلة سويت بالأرض ليفقد الجميع المسكن ويضطروا لاحقًا للانتقال لشقة سكنية واحدة تجمع شمل العائلة كلها .

ياسمين , 25 عامًا, متزوجة منذ ستة أعوام لابن عمتها, ولم تحظ بأي من الأبناء, ولا تبدو راضية كثيرًا عن حياتها الزوجية, فهي كما تقول : " رأت المر" من زوجها غير المتعلم والذي لا يملك عملاً ثابتًا , وكذلك من أهل زوجها الذين يعتبرونها " خادمة " ولا يكفون عن معايرتها لأنها لم تنجب الأطفال بقولهم : " أنت ما إلك خلفة ".

سوء المعاملة وعدم الاستقرار الأسري اللذان تعيشانه "ياسمين", تفاقما كثيرًا على إثر الحرب, تصف ياسمين الحالة فتقول : " كنا في مصيبة , صرنا في ألف مصيبة " , بدأت المصائب التي تتحدث عنها ياسمين, حين اضطرت مع زوجها وعائلته النزوح إلى إحدى مدارس الإيواء, هناك لم تستطع ياسمين قليلة الحيلة, الوقوف في وجه أهل زوجها والمطالبة بحصتها في المساعدات التموينية والغذائية, التي كانوا يتقاسمونها فيما بينهم دون اعتبار لها, وحجتهم المكررة : " إنت ما إلك خلفة .. ما بيلزمك ".

تعقب ياسمين قائلة : " المعلبات , الحرامات والفرشات حتى الكرتونة الصحية كلها أخدوها , وجوزي ساكت ما بيحكي اشي لأهله", وبقهر وحنق شديدين, تواصل ياسمين حديثها قائلة : " قام المسجد في منطقتنا بتوزيع مبلغ وقدره ألف دولار للعائلات التي فقدت بيوتها في شارع النزاز وكان لي وزوجي حصة, استولوا عليها ولم أر منها دولارًا واحدًا ", كذلك طال الأمر المساعدات التي صرفتها الأونروا لتساعد الناس في

استئجار بيوت جديدة, استولى عليها أهل الزوج مكررًا, واستأجروا بيتًا واحدًا بحجة توفير المال, وكان نصيب ياسمين في المنزل تلك الغرفة مضافًا إليها تحمل كافة الأعباء المنزلية, تعقب قائلة : "صرت خدامة البيت, طول النهار بجيب وبودي وبالآخر مفش حتى شكرًا " .

الزوج اللامسئول كما تصفه ياسمين, وقف مكتوف الأيدي أمام التسلط الذي وقع على زوجته, بل هروبه من مواجهة المشكلة دفعه إلى تعاطى " الترامال " ليصبح مدمنًا وبلا عمل وبلا منزل, ولتجد ياسمين نفسها أمام فصل جديد من فصول قصة التسلط, حيث أصبح زوجها عنيفًا معها خاصة حين يفتقد إحدى الجرعات التي يدمنها, حيث تعرضت أكثر من مرة لضرب مبرح ترك آثاره على جسدها الغضّ .

تزفر ياسمين بحسرة وتعقب قائلة : " بدل ما يصرف عليا ويجيبلي حقي , بيضيع الفلوس على الترامال وكإني مش موجودة بحياته ", ولفتت إلى أن زوجها حاول اكثر من مرة " السرقة " من أجل الحصول على الترامال, حاولت ياسمين الاعتراض, صرخت بأعلى صوتها ورفضت الظلم الواقع عليها, فكان جزاؤها مزيدًا من العنف والضرب, وسيلاً من الاتهامات بأنها لا تقدر ظروف العائلة وما مرت به إثر الحرب .

انتحبت ياسمين, بكت بكل حسرة الدنيا, وأضافت قائلة : " والدي مريض, وإخوتي يريدون مني الصمت ومواصلة حياتي حتى لا أجلب لهم الفضيحة ومعايرة الناس", فقد لجأت ياسمين اكثر من مرة إلى إخوتها على إثر الضرب الذي تعرضت له, فقاموا بإرجاعها لبيت زوجها ورفضوا فكرة " الطلاق" جملة وتفصيلاً لتبقى ياسمين, معلقة بين إهمال الزوج, وتسلط أهل الزوج, وتخلي الأهل والإخوة عن الوقوف بجانبها .

المسنة "ليجة" لا بيت ولا عائلة من سينصفها

على مدخل غرفة " فصل دراسي" في إحدى مدارس الأونروا في منطقة تل الهوا التي تحولت لمركز لإيواء الذين شردتهم الحرب الأخيرة على قطاع غزة . وفي وقت الظهيرة تحديدًا كانت السيدة " ليجة " تهم بنشر غسيلها لتجففه الشمس , كما تفعل كل السيدات اللاتي يقبعن مع أسرهن في نفس المدرسة, بينما تعج الساحة بالأطفال يلعبون ولا يكف صخبهم .

السيدة ليجة, وهو اسم تركي, تهدم بيتها بالكامل بفعل القصف العشوائي الذي طال شارع النزاز في منطقة الشجاعية شرق مدينة غزة فيما عرف بمجزرة الشجاعية التي ارتكبت صبيحة يوم الأحد الموافق 20 يوليو, هربت السيدة " ليجة " من بيتها عند الفجر مع جيرانها وسكان الحي, لم تحمل شيئًا سوى ما ارتدته من جلابية ووشاح أبيض لرأسها, وتركت خلفها بيتها الذي سوي بالأرض, ومن حينها لم تجد مأوى آخر سوى مدرسة الإيواء, فافترشت أرض إحدى الفصول وصنعت لنفسها ستارًا من إحدى البطانيات لتحاول الحصول على بعض الخصوصية في غرفة ضيقة لا تتجاوز مساحتها 40 مترًا يتقاسمها معها أسرتان أخريان .

لا تكف ليجة السيدة السبعينية عن الصـــلاة والدعاء والبـــكاء, فقد وجدت في الأمـــر سلوى وعزاء لها بعد " المصائب التي توالت عليها خلال فترة وجيزة " كما تقول, وتضيف : " الحياة صعبة وملهاش حل إلا فرج من عند ربنا " .

ليجة السيدة الارملة, رحل عنها زوجها منذ 17عامًا , بعد زواج دام أكثر من 30 عامًا دون أن تنجب الأطفال, فبقيت دون زوج أو ولد , ومن قلة حيلتها لم تستطع الحصول على حقها في الميراث ولم تطالب به, فالبيت الذي احتضن زواجها اقتسمه إخوة الزوج بعد وفاته, تقول بصوت واهن : " ايش بدي أعمل , الله يسامحهم, انا بس بدي سقف أنام تحته ".

تبرعت ليجة وقامت بتربية ولدين لأخ زوجها كانت امهم تعاني من اضطراب نفسي ولم تتمكن من تحمل مسئولياتهم, وهو ما جعل والد الطفلين يسمح لها بالبقاء في " بيتها " الذي لم يعد بيتها في الأوراق الرسمية, تعقب قائلة : " تمسكت بالأولاد عشان أضل بالدار, لولا هيك كان لقيت حالي بالشارع ", واعتمدت على ما تتقاضاه من مبلغ زهيد من الشئون الاجتماعية في إعالة نفسها وولديها بالتبني , فهي لا تقرأ ولا تكتب, حتى كبر الولدين أكبرهما استشهد في حرب عام 2009, والآخر سافر مهاجرًا باحثًا عن مستقبل أفضل خارج غزة , تتحدث بعيون دامعة : " راح ابني الأول وراح التاني وكمان راح بيتي, أنا ست كبيرة ولحالي ومليش ظهر يسندني " .

من قسوة فقد الزوج والولد إلى قسوة الحرب والنزوح مرورًا بقسوة الظروف في مقر الإيواء, تقف " ليجة " أمام نوع جديد من القسوة يزيد من ضبابية مصيرها, فضياع حقها في الميراث سابقًا, ترتب عنه ضياع حق ملكيتها للبيت لاحقًا, وبعد انتهاء الحرب, قام إخوة زوجها باستئجار بيوت لهم ولأسرهم عوضًا عن التي فقدوها, وبقيت ليجة وحدها, لا تملك بيتًا, ولا تملك ما يثبت ملكيتها لبيتها, لا تملك ولدًا ولا من يسأل عنها, وضعت يدها على رأسها وتنهدت : " لا أعرف أين سأعود, ليس لدي ما يثبت أني أملك بيتًا .. لم يتواصل معي أحد لتعويض البيت .. ما إلنا غير الله " .

تتحرك السيدة " ليجة " بخطوات ثقيلة, وترتسم على وجهها المجعد كل ملامح الحيرة والتساؤلات التي لا تنتهي : أين سينتهي بها هذا الحال ؟ .

" أميرة " وجع الحرب وزواج الإكراه

يقود زقاق رملي ضيق في إحدى شوارع حي المنصورة في الشجاعية شرق مدينة غزة , إلى بيت " أميرة ", بيت متواضع طالته الحرب ببعض الأضرار الجزئية بينما أحاط به من أمامه وجواره بيتين مهدومين بالكامل تم قصفهما ضمن سلسة الإنذارات التي وجهت للناس لإخلاء بيوتها .

تجلس الجدة العجوز في ساحة البيت تستقبل بترحاب كل من أقبل, أخذت الجدة تتحدث عن مآسي الحرب ووجعها الذي لا يزال رغم انتهاء العدوان منذ خمسة أشهر, تتنهد وتزفر بحسرة وهي تتحدث عن أميرة حفيدتها " العروس" الجميلة التي أصابتها بعض الاضطرابات النفسية على إثر الحرب تفاقمت لاحقًا وتحولت لنوبات غضب شديدة مع محاولة فاشلة للانتحار .

طلت أميرة كالأميرة, استقبلتنا بضحكاتها رغم أن عيناها الخضراوين كانتا تفصحان عن تعب ووهن شديدين, بعد الانفراد بأميرة ابنة الستة عشر ربيعًا في غرفة صغيرة, جلست أرضًا وبادرت حديثها منفعلة : " أنا بكره هاي الدار نفسي أخلص منها واخلص منهم كلهم " .

تعيش أميرة في بيت مكوّن من طابقين يسكنه الأجداد والأعمام , تتكون أسرتها من 16 فردًا مع الأب والأم, أغلبهم متزوجون من نفس العائلة كما أميرة التي تمت خطبتها على ابن عمها ابن العشرين عامًا قبل عام رغم عدم رضاها, لكنها قبلت تحت ضغط الأهل ثم تركت دراستها واستعدت للزواج كما فعلن أخواتها من قبل اللاتي تزوجن في سن ال 15و 16.

خلال شهري الحرب, اجتاحت أميرة نوبات متعددة من الخوف والفزع , كما أخبرنا والدها قائلاً : " منطقتنا تعرضت لقصف عنيف جعلنا جميعًا مضطربون, لكن أميرة كانت الأكثر هلعًا, فقد استيقظت أكثر من مرة تصرخ بجنون وتطلب منا إنقاذها ممن يلاحقونها ! " .

بعد انتهاء الحرب بشهرين, بدأ الاستعداد لحفل الزفاف الذي لم ترغب به أميرة, اعتقد الأهل أنه الخوف الطبيعي لفتاة تقبل على تجربة الارتباط, لكن الأمور ازدادت سوءًا, يوم الزفاف لم تكف أميرة عن البكاء, ثم تسمرت قدماها ولم تستطع السير أو النطق لمدة أسبوعين بعد حفل الزفاف . خلال هذه المدة استعان الوالدين بعدد من " الشيوخ " لقراءة القرآن على أميرة ظانين أن ما حدث لها نوع من السحر أو تلبس بالجن, وهي عادة عند البسطاء حيث يعتقدون أن قراءة آيات من القرآن ستساعد في إزالة السحر أو الجن .

لاحقا استطاعت أميرة السير والنطق ببطء, لكن غرفة الزوجية تحولت من مكان دافئ إلى باب من الجحيم , تمنعت أميرة وبقوة من دخول الغرفة ومن الاستجابة لزوجها, تم إكراهها أكثر من مرة على دخول الغرفة لكنها ثارت وأصابتها نوبة غضب شديدة جعلت الجميع يتراجعون, فبقي زواج أميرة حتى اللحظة مجرد اتفاق ورقي لا يمت للواقع بصلة, ووسط حيرة الأهل إزاء حالتها لم يكف والديها عن استجلاب الشيوخ القارئين في محاولات يائسة لفك السحر الذي أصابها كما يعتقدون .

حاولت أميرة الانتحار , تناولت جرعة كبيرة من حبوب الدواء, تم نقلها للمستشفى وإنقاذ حياتها, تحدثت أميرة وهي تدرك ما تقول : " أردت أن أنهي حياتي, لا أحب حياتي .. وسأحاول قتل نفسي مرة أخرى فأنا أريد الخلاص" .

تجولت أميرة في أنحاء البيت, دخلت إلى الحمام وأشارت إلى أرضيته قائلة :" هنا أجلس وحدي في الزاوية, أفتح دش الماء, وأتحدث مع نفسي .. أنا أحدث نفسي كثيرًا ", هذه الحالة أكدتها والدتها حيث قالت أن أميرة تتحدث لنفسها كثيرًا بصوت عال وكأنها تحدث شخصًا ما خاصة في الحمام, وأضافت : " تجلس بالساعات داخل الحمام, تتحدث بانفعال وعصبية ولا تكف عن تهديدنا بانتحارها " .

مررنا بجوار غرفة الزوجية , انفعلت أميرة وصرخت :" بديش أدخل الغرفة بديش أدخلها " وهربت مسرعة إلى الجزء الآخر من البيت , الغرفة التي بدت مجهزة بسرير بني أنيق يليق بعروسين جديدين , لم تنم فيها أميرة ليلة واحدة, دافعت أميرة عن نفسها قائلة : " أنا لا زلت صغيرة أنا لا أريد الزواج .. أنا أكره ابن عمي أكرهه ".

كانت أميرة تتصرف بعنف وفظاظة مع المحيطين, صرخت في وجه والدتها أكثر من مرة : " أنت السبب أنت من دمرت حياتي ربنا ينتقم منك ", ثم شتمت والدها وشتمت زوجها وتمنت لهم الموت, لحظات ثم هدأت وانهمرت دموعها وقالت :" لا أحد يفهمني أو يشعر بي .. أريد الهرب لا أريد البقاء في هذا البيت " .

استعان والديّ أميرة بطبيب مختص في علاج الأعصاب, وصف لها دواءً, كان العلاج ناجعًا إزاء النوبات العصبية المتكررة, لكنه لم يشف أميرة بل كان دوره كالمسكن فقط حسب ما قال والدها وهو ما دفعه حاليًا للبحث عن طبيب نفسي لمتابعة حالة أميرة فقال :" عرضها على طبيب نفسي سيجلب لنا كلام الناس لكنني مضطر لذلك .. حالتها تسوء يوميًا " .

لم تبد أميرة أي رفض لعرضها على طبيب, قائلة :" حين طلبوا مني أخذ الدواء كنت أسمع صوتًا في عقلي يدفعني لرفضه لكني تغلبت عليه وأخذت دوائي .. أريد أن أتحسن.. أنا متعبة " ترقرقت عيناها الخضراوين بالدموع وقالت بتوسل : " لكن أرجوك أخبريهم أني لا أريد الزواج من ابن عمي " .

الحرب عنف وهجران وإهمال

على مقربة من الحدود مع دولة الاحتلال الإسرائيلي المتعارف عليه باسم الخط الشرقي يقبع بيت صغير ضيق تسقفه ألـواح الزينكو يتكـون من غرفتين ومطبخ وحمام صغيرين, تقيم فيه " مـروة " مع ضـرتها " حنان " وأولادهما الثمانية .

تجلس " مـــروة " وفي حضنها رضيعها الذي رزقت به إثر الحـرب الأخيرة على غـزة, بينما تجلس مقابلها " حنان " وفي حضنها كذلك رضيعها الذي رزقت به أثناء نفس الحرب, بينما يضج البيت الضيق بأصوات الأطفال الآخرين الصاخبين.

زوج الضرتين ووالد الاطفال الثمانية, يعمل كموظف في الجهاز الشرطي , يتقاضى راتبًا لا يكاد يكفي لسد رمق زوجتيه وأطفاله, يغيب عن بيته طوال النهار ولا يعود إلا ليلاً كما تقول زوجتيه, وتضيف مـروة : " أصبح مهملاً جدًا, جملته المكررة : عيشوا لحالكم ولأولادكم واتركوني لحالي " .

أثناء الحرب, اضطرت العائلة النزوح إلى إحدى مدارس الإيواء نظرًا لخطورة البقاء في منزلهم, وهناك بدأت المعاناة التي لاقتها الزوجتين جراء عنف الزوج و عصبيته " الهوجاء " كما تقول حنان وتضيف : " في مرة من المرات غضب عليّ بسبب الغسيل وضربني أمام الآخرين مما أحرجني بشدة " .

أما مروة فقد تعدى عليها بالضرب هي الأخرى مما تسبب لها بنزيف خشيت منه فقدان جنينيها, لكن تم نقلها للمشفى واستدراك الأمر وإنقاذ الام وجنينها الذى ولد معافى بعد انتهاء الحرب, لكن الآثار النفسية بقيت حتى اللحظة توجع قلب مروة, تبكي مروة وتقول : " ولا عمري بأنسى اللي عمله, كان رح يقتلني ويقتل ابني لولا ربنا أنقذني " .

العصبية والـــتوتر الشديدين , كثـــرة الصراخ, العنف الجسدي واللفظي, كل تلك الأشيـاء عانت منها

الزوجتين من زوجهما الذي انقلبت أحواله بفعل الضغوط المتوالية سواء من الحرب أو من كثرة المسئوليات المادية التي لا يطيقها براتبه الضعيف وكثرة الديون التي تراكمت عليه بعد إصلاحه لبيته شبه المدمر.

تقول مروة : " بيضرب الاولاد على أتفه الأسباب , ابنه الصغير رسم على الباب , فإنهال عليه بضرب لا يحتمل, دافعت عن ابني وحاولت منعه فضربني أنا الأخرى ", هذا بالإضافة إلى ما ذكرته الزوجتين عن استمرار زوجهما بالدعاء عليهما وعلى أبنائه بالموت.

بعد العودة إلى البيت الذي احتاج للترميم والإصلاح جراء الأضرار التي لحقت به, بنى الزوج غرفة مستقلة له , وهجر زوجتيه وأولاده ولم يعد يتواجد في بيته خلال النهار, ليتخلى عن مسئولياته تجاه عائلته, ورغم قساوة موقفه إلا أن زوجتيه اعتبرتاه أفضل من صم جام غضبه عليهن وعلى أولادهن دون مبرر .

تقول حنان بانكسار: " هجرنا كاملاً, ونحن خائفون من مجرد مراجعته حتى لا يمارس عنفه علينا".

ومع حالة الإهمال واللامسئولية من الزوج, تحتار الزوجتين ــ غير المتعلمات - حول مستقبل عائلتهما الممتدة التي تحتاج من يعولها ويتابع أعباءها, تطيل حنان النظر إلى الأرض ثم تزفر زفرة طويلة وتقول : " لو قلنا نعرضه على طبيب نفسي رح يرفض ويعنفنا, وفي نفس الوقت مش قادرين نتحمل هالوضع " .

أما ضرتها مروة تحاول تعزية نفسها وتقول : " الكل أصبح عنيفًا وعصبيًا بعد الأهوال التي عشناها خلال الحرب, ربما هي مرحلة وتعدي ويستقر الحال " .

تصمت كلاً من مروة وحنان, وكأن الكلمات لم تعد تصف حالة الضعف والحيرة التي يعيشانها, وتعاودان مبادرة الحديث بالدعاء إلى الله وتسليم أمرهما له .

قصص
بقلم
سمر صلاح عليوة

علا: "نار الزوج ونار الأهل"

ما أن رفعت وشاحها الأبيض الذي يغطي وجهها، حتى بانت عيناها العسليتين متعبتين، يلفهما سواد وخطوط دماء محتبسة تعلو وجنتيها نتيجة ضرب زوجها المتكرر لها، "علا" ابنة (26 ربيعًا) أم لبنتين وولد، تسكن في مدرسة إيواء المتضررين من الحرب بعدما دمر الجيش الإسرائيلي منزلها في عدوانه الأخير على قطاع غزة منتصف عام 2014.

لم تود ذكر اسمها الحقيقي، خشية علم زوجها بإفشاء قصة ضربه لها وزيادة تعنيفه، في الوقت الذي لم يبق لها من تشكو إليه من أهلها، بتعرضها هي وأطفالها للضرب المبرح من قبل زوجها، 31 عاما، بعد تدمير منزلهم المنشأ حديثا والواقع في حي الشجاعية على الحدود الشرقية من القطاع، وكان زوجها الذي يعمل "عتال" بدخل بسيط يعاملها برفق، على الرغم من سوء الوضع الاقتصادي إلا أنها كانت تساعده من مؤخر طلاقها من زواجها السابق في توفير الاحتياجات الأساسية للبيت.

يعتبر حي الشجاعية من الأحياء المحافظة جداً على التقاليد والعادات، وللرجل فيها سطوة وهيمنة على المرأة وسلوكها، ويكثر فيها حرمان الفتيات من حقهن في اختيار الزوج، وفي الغالب يفضل الأب زواج ابنته وهي صغيرة من أجل التخلص من عبئها كأنثى، وهذا ما حصل مع علا وأهلها الذين تنكروا لها بمجرد زواجها.

في فجر يوم السابع عشر من يوليو 2014، أجبرت مع زوجها وأطفالها على مغادرة المنزل تحت زخات قذائف المدفعية الإسرائيلية، وما إن وصلت وسط مدينة غزة حتى أبلغهم أحد الجيران بأن منزلهم قد دمر بالكامل، ما أثار ذعرها هي و زوجها على منزلهم الذي لم يكتمل عام على بنائه ولم ينتهوا من سداد الديون التي تراكمت عند بنائه.

لم تكن الحيـــاة مع أسرتها وعائلات أخـــرى في غرفة بمدارس الإيواء أكثر سوءا من معاملة زوجها لها منذ

اليوم الأول في المدرسة، وكاد ذات مرة أن يسقط جنينها من شدة الضرب دون أي سبب يذكر، ونقلتها جارتها التي تجاورها الغرفة في المدرسة إلى المستشفى، وخوفا على حياة أطفالها الذين يعيشون معه لم تبح لأحد سبب إغمائها ودخولها المستشفى بحسب قولها.

كثيرا ما قررت علا الانفصال عن زوجها وطلب الطلاق، ولكن سرعان ما كانت تتراجع عن هذا القرار، لعدم تقبل والدها وأخواتها المتزوجون لها في بيتهم، فهم لم يكترثوا لحالها منذ قصف بيتها، وأنهم كما تصفهم وقد أحتبس الدمع في مقلتيها "قاسيين عليا، ولا كأني عرضهم، من بداية الحرب حتى الآن في عايشة المدرسة، وبيت أبويا كبير ما كلف خاطره حتى يقولي تعالي بغرفة عيشي عنا".

تقول وهي ترفع طرف كم جلبابها تظهر دوائر زرقاء على يدها اليسرى عقب ضرب زوجها فور دخوله الغرفة التي تؤويها هي وأولادها، إنها تعاني من آلام في جميع أنحاء جسدها، وفي بعض الأحيان تبقى طريحة الفراش ليومين أو ثلاثة تتألم عاجزة على رعاية وتلبية احتياجات أطفالها، وحين توسلت إلى زوجها عدم ضربها وتعنيفها، لم يكترث لكلامها وإنما زاد من ضربها وشتمها وسط خوف أولاده منه.

لا يقتصر عنف زوجها تجاهها فقط، بل يطال الضرب والتعذيب أطفالها الذين لا يتجاوز أكبرهم الخمسة أعوام، وكلما حاولت الحديث إليه بعدم ضرب أبنائهم كونهم صغار لا حول لهم ولا قوة، كانت تتلقى الضرب المبرح إلى جانبهم، في حين تمتنع عن شكوى زوجها إلى والدها وإخوانها، لكن أخواتها البنات كن يعرفن بمصابها ويقمن بالتخفيف عنها بالحديث إليها ومؤازرتها.

لا تعرف علا مصيرها هي وأطفالها الثلاثة، كونها منذ انتهاء الحرب الأخيرة إلى الآن تسكن في غرفة بمدرسة الإيواء، ولم تتلقى أي مساعدات مالية من أي جهة مانحة لاستئجار مسكن، أو إعادة بناء منزلهم المدمر، بوصفها لوضعها: "حياة بتقصر العمر، تعبت أكتير تعبت".

تزوجت علا مرتين من قبل وطلقت نظرا لزواج البدل التقليدي (**هو تبادل الأخوات بين شابين يرغبان بالزواج**)، وعندما طلقت زوجة أخيها قام زوجها بتطليقها وهي لم تكمل ستة شهور مع زوجها، وكان والدها يعاملها بقسوة شديدة وعدم تقبله لها، في حين أنها كانت تقوم بجميع أعمال المنزل، "نار الزوج ولا نار الأهل، مش عارفة وين أروح" تقول علا وقد غمر الدمع وجهها المكتنز حمرة.

خولة : عقوق الأبناء والحرمان ثم شلل

على كرسي متحرك تجلس ململمة جسدها النحيل, مصابة بشلل نصفي، تتساقط دموعها كالمطر، تبلل وجهها القمحي الذابل الذي لفحته الشمس الحارقة بلون السمرة وحفر الزمن علامات واضحة علي وجهها، و ذهنها شارد مع أبنائها الذين تركوها وحدها دون معيل.

تفضل خوله عايش، 50 عاما، (وهو اسم مستعار)، عدم ذكر اسمها خشية تمادي أولادها في التنكر لها, تروي عينيها قصة ألم لم تصنعها الحروب الثلاث التي شنها الجيش الإسرائيلي على قطاع غزة, وإنما صاغ تفاصيلها أبناؤها السبعة, والذين أحالوا حلمها بالاستقرار بجوارهم وبرهم لها لكوابيس حرمان وظلم.

قبل وفاة زوج خوله بعام، تم تقسيم الميراث بين الأخوة السبعة والأخوات الثلاث برغبتها ورغبة زوجها، على أن يعيش الأب والأم مع أحدهم حتى نهاية العمر، وتقول: "بعد تقسيم الميراث ب 6 أشهر أتوفى زوجي الله يرحمه، أتوقعت أولادي يحطوني بعيونهم، لكن أنذليت ذل عندهم، وقررت أسكن ببيت لوحدي".

وكانت خوله تمتلك مدخرات من الذهب، قررت بيع جزء منها وبناء مسكن يأويها، وطلبت من أحد أبنائها بناء غرفة لها في أرض مجاورة لمنزل العائلة، إلا أنه أستغل عدم وعيها وبنى لها غرفة متواضعة واستولى على باقي المبلغ، وعاشت الأم مع ابنها من ذوي الاحتياجات الخاصة وزوجته وطفليه في تلك الغرفة مع استمرار سوء الحال.

ومع بداية حرب تموز يوليو 2014، هجرت غرفتها بدعوة من أحد أبنائها الذي أسكنها في منزله في بداية الأمر، وعندما امتعضت زوجته، أسكنها في دكان بقالة في الطابق الأرضي لمنزله، وهي كالعادة بصحبة ابنها وزوجته وطفليه في مكان يفتقر لأدنى مقومات الحياة الإنسانية، في شارع الطواحين بحي الشجاعية شرق مدينة غزة.

خلال الحرب تعرضت غرفتها السابقة للقصف والتدمير، وبانتهاء الحرب تلقى أحد أبنائها تعويضا عن الخسائر واغتنمها لنفسه، دون أن يقدم لوالدته أي مساعدة عينية أو مادية، واستمرت الأم في الحياة داخل الدكان الذي يفتقر للخصوصية والدفء والمنافع العامة.

ولم يتوقف الأمر عند خراب بيتها الصغير، وإنما تضاعفت المعاناة بإهمال أبنائها, يسكن الابن الأكبر في منزل كالقصر, ويعمل الأخر تاجر جملة ومفرق, والتالي طبيب قلب ولديه عيادة خاصة تدر عليه دخلا كبيرا, والرابع كان نقيب في الحكومة السابقة وما زال يتقاضي راتبه، وأما التوأم وهم أصغر الأبناء يعملان في حرفة الحدادة، على حد قولها.

ومما يدمي القلب أن تنال يد زوجة أبنها الكبير منها وتعتدي عليها بالضرب على مرأى أعين أطفاله وهي في منزله، وحشية أثارتها براءة طفلته التي سألت أخوها بقولها : "ماما زي اليهود بتضرب تاتا ليش؟؟", وجاء اعتداء زوجة الابن عندما طلبت خوله إطعامها لكي تتمكن من تناول علاج السكري، وكان لم يدخل جوفها أي طعام منذ قرابة العشر ساعات.

نظرا لخلافات أبنائها مع بعضهم البعض على أمور مادية، تعرضت لجلطة أدت إلى شلل نصفي، مما يستدعي علاجا متواصلا ورعاية نفسية وجسدية، إلا أنها تعاني من إهمال أولادها وزوجاتهم وعدم إنفاقهم على رعايتها وتركوها تعيش في بؤس وعوز مع ابنها الذي يحتاج بنفسه إلى من يرعاه.

تخضع غالبية مشاكل خوله لطمع أولادها فيما تمتلك من بقايا ذهبها رغم بساطته، وينتظرون موتها للتخلص منها والحصول على ما تمتلكه، لدرجة أنهم يستكثرون مخصصات الشئون الاجتماعية على أخوهم وزوجته الذين يقومون برعاية خوله رغم قلة إمكانياتهم.

ليست المرة الأولى التي تتعرض فيها خوله لانتهاك حقها في الميراث وتنكر عائلتها لها، فهي تنحدر من عائلة غنية كانت قد افقدتها حقها في الميراث وهي في الرابعة عشرة من عمرها، ولكنها في هذه المرة اعتقدت أن أولادها سيبادلونها حنانا وعطفا وليس عقوقا وحرمانا.

الحرب قتلتني مرتين

بعد ثلاثة أشهر ستكمل "أنغام" ربيعها التاسع والعشرين، ولكن هذا العام يختلف بالنسبة لها عن كل سنوات عمرها، لأول مرة تشعر أنها بلا رجل يحميها رغم أن زوجها موجود في الغرفة المجاورة من المنزل الذي دمرت الحرب الإسرائيلية جزءا منه في يوليو من العام الماضي، ودمر الزوج والأب لأطفالها الجزء الآخر من الحياة الزوجية.

هو ليس أسمها الحقيقي، فهي تفضل عدم الإفصاح عن هويتها خوفاً من استمرار تعنيف زوجها لها في الوقت الذي لم يعد لها من تشكو إليه من أهلها، وربما تكون البيئة التقليدية التي أنجبتها في هذا المناخ القاهر للمرأة هي التي جعلتها تستكين للواقع المزري والمهين لكرامتها، ويبقى الأمل هو المخلص الوحيد من تعاستها وحرمانها.

تسكن "أنغام" في شارع المنصورة بحي الشجاعية شرق مدينة غزة، وكانت قد تزوجت قبل عشر سنوات بشكل تقليدي من عامل بناء، وأنجبت منه ولد وبنتين، وحياتها كانت طبيعية ككل الأزواج رغم سوء الحال وعدم قدرة الزوج على العمل المتواصل بسبب شح مواد البناء في قطاع غزة بسبب الحصار الإسرائيلي المفروض منذ سبع سنوات.

لم يكن منزل الزوجية في أحسن حالاته قبل الحرب، فكان ينقصه الكثير من الأثاث والترميم، وكان كما تصفه "قبيحاً بمظهره جميلاً بأجواء العشرة"، ورغم الفقر إلا أن المنزل الذي يتكون من طابق واحد على مساحة صغيرة يحتوي على غرفتين وصالة صغيرة ومطبخ وحمام، كان بالنسبة لها الجنة والملاذ الآمن إلى أن جاءت الحرب "الملعونة" على حد قولها.

في اليوم الأول للاجتياح البري للشجاعية في السابع عشر من يوليو 2014، اضطرت مع زوجها وأولادها لمغادرة

المنزل تحت القصف المتواصل، وكادت أن تموت رعباً لولا قدوم سيارة إسعاف ونقلتهم إلى وسط مدينة غزة وبعدها إلى مدرسة لوكالة الغوث لتستقر هناك حتى نهاية الحرب وإعلان الهدنة الدائمة.

تلقى منزلهم عدة قذائف من المدفعية الإسرائيلية أصابت سطحه وبعض جدرانه، ودمرت محتويات المنزل المتواضعة، ولكنها عادت إلى منزلها مسرورة بسبب تخلصها من عذاب الحياة في مدارس الإيواء، وقامت بمساعدة زوجها بتنظيف الركام ووضع بعض البلاستيك على شبابيك وفتحات الجدران للتمكن من الحياة داخل المنزل والتمتع باستقلالية وخصوصية.

وبمجرد انتهاء الحرب، تلقى الزوج الذي يكبرها بثلاثة أعوام فقط، مبلغا من المال لإيجاد منزل بديل للإيجار، وتلقى أيضاً دفعة نقدية من وزارة الإسكان وجهات أخرى، من أجل البدء بترتيب أمور حياتهم، إلا أنه وبدون سابق إنذار، قرر الزواج بأخرى، وجلبها للحياة في نفس المنزل، الأمر الذي سبب صدمة "لأنغام" وأثار حنقها وغضبها واعتراضها المقبول، إلا أن الزوج عنفها وضربها بقسوة، واضطرت لمغادرة المنزل والذهاب لمنزل والديها.

اعتقدت "أنغام" أن أهلها سينصفونها بعد أن كانت الكدمات قد تركت أثارا زرقاء على وجهها، وانتفخت إحدى عينيها، وكانت علامات الضرب تنتشر على كل أنحاء جسدها، إلا أن والديها وإخوانها الثلاثة، أجبروها على العودة لبيت زوجها مع إبلاغها بأن عليها تحمل مشقات الحياة مع زوجها لأنهم لا يستطيعون الإنفاق عليها وعلى أولادها، وأن بيت زوجها "أولى بها" على حد قولها.

بحرقة تكوي قلبها ودموع تحرق وجنتيها تقول "أنغام": "كنت بعرف أنو أهلي مش رح يستقبلوني بترحاب لأني جاية حردانة، بس ما كنت متصورة يكونوا بهذه القسوة، لكن اللي بيقهر أكتر، انو أرجع مذلولة لزوجي عشان يذلني أكثر"، وتضيف أنها أصبحت خادمة المنزل رغما عنها ودون أي إكتراث بمشاعرها، فقد أخذ الزوج أموال إعادة الاعمار ليتزوج بها ويهجر أم أولاده.

تعيش "أنغام" حالياً في الغرفة الأسوأ من حيث التدمير، تنام على ثلاث فرشات على الأرض مع أولادها الثلاثة، دون خزانة تحفظ ملابسهم أو حتى ألعاب لأطفالها الذين لا يتجاوز أكبرهم سن الثامنة، في حين يتعمد الزوج إهمال زوجته الأولى وأولادها ليحظي بأوقات سعادته مع زوجته الجديدة والصغيرة سناً، ولكن الأمر

لم يتوقف عند هذا الحد.

وكلما اشتكت "أنغام" لزوجها من عدم توفر مستلزمات الحياة الأساسية للأطفال من حليب وملابس ثقيلة تقيهم من شدة البرد في الشتاء الغزي القارص، كانت تتلقى الضرب المبرح والشتائم القاسية وسط شماتة الزوجة الثانية، في حين أنها تقوم بكافة أعمال المنزل دون شكوى أو تظلم، "ألم الذل والإهانات اليومية أسوأ بكثير من ألم الضرب" تقول أنغام وهي تحبس عبراتـــها.

تقول وهي تشير إلى سقف الغرفة ذا الفجوة الناتجة عن قذيفة مدفعية اخترقته، أنها في كل شتاء تقوم وحدها في البرد والمطر وتصعد للسطح لوضع بعض ألواح الخشب فوق الفتحة لكي يتوقف انهمار الأمطار داخل الغرفة، وحين توسلت زوجها من أجل إصلاحها تلقت الشتائم والضرب، وحتى أن زوجها لم يفكر بإصلاحها، وبقيت تضع الدلو تلو الآخر كي لا يبلل المطر فراش أطفالها ويصيبهم بالأمراض الشتوية.

يمنعها كبرياؤها من التسول من الأقارب والجيران، ولكن بعض نساء الحي يعرفن بمصابها ويرسلن لها بعض الملابس لأولادها، بينما يتعدى الأمر حاجتها للأشياء العينية، فهي بحاجة لبعض النقود لشراء أشياء تخصها كأنثى على حد تعبيرها.

وتعترف "أنغام" أنها منذ ذلك اليوم الذي أجبرها فيه والدها بالعودة لبيت زوجها، لم تقم بزيارة أهلها مطلقاً، وما زاد حياتها سوءاً أن زوجها يمنعها من الخروج للحصول على مساعدات من جمعيات خيرية، في حين يحصل هو على كل المساعدات التي تقدم لمتضرري الحرب، دون أن يقتسم معها أي من تلك المساعدات، في حين لا تنكر "أنغام" أن زوجها ما زال عاطلا عن العمل، ولكن من حقها أن تقتسم معه بعض ما يحصل عليه من المساعدات.

قسوة الأب وقهر الكتمان

بعد ساعات من العمل الشاق في الأرض الزراعية، ألقت أحلام بجسدها النحيل متكئة على كتف أختها آلاء، وتجلس على حجر بأحد زوايا سطح المنزل المهدم جزئياً، والمكونِ من ثلاثِ غرف يسكنه 11 فرداً على بعد 700متر من الحدود الشرقية الفاصلة بين قطاع غزة وإسرائيل، تعيش الفتاتين اللواتي تعانيان من تعنيف والدهن بشكل مبالغ فيه عقب الحرب الأخيرة التي شنتها إسرائيل على القطاع في يوليو من العام 2014.

تفضل أحلام (21 عامًا) عدم الإفصاح عن اسمها الحقيقي خشية معرفة والدها بشكواها فيزيد من عذابها، وتسرد بحرقة تعرض منزلهم لقذائف المدفعية الإسرائيلية أثناء الحرب واحتراق معظمه، ما زاد عنف والدها تجاههم، حتى إنه في إحدى المرات عندما طلبت منه بعض النقود من اجل نفقات الجامعة، كانت إجابته لها بمنتهى القسوة والإهانة، عندما اقترح باستهتار إن تمارس البغاء وتنفق على نفسها.

وما زاد من معاناة عائلة أبو قاسم هو تجريف آليات الجيش الإسرائيلي للأرض الزراعية التي يستأجرها الأب ليقتات من دخلها، وقصف الطائرات المروحية للبئر الذي يسقي الأرض، وهما دخل الأسرة الوحيد، حتى أصبح الفقر والعوز مبررات عصبية الأب تجاه بناته السبعة وبات يصرخ ويشتم ويضرب في كل فرصة وحتى بدون أسباب، بحسب قول الفتيات.

"أنا بروح على الجامعة الصبح وأول ما برجع على البيت، بكون كتير تعبانة ومع ذلك بيجبرني ألحقه على المزرعة" تؤكد أحلام وهي تمسح دمعتها أنها في إحدى المرات كادت تفقد حياتها إثر انفجار أحد الصواريخ المحلية الصنع فوق المنطقة الحدودية المتاخمة لمزرعة أبيها، في حين لا يكتفي بحرمانهم من توفير احتياجاتهم الأساسية، بل يلاحقهن في المساعدات البسيطة التي يتلقونها من الجمعيات الخيرية، وإذا وجد نقوداً مع إحداهن يبادر بضربها حتى يأخذه، على حد قولهن.

تقول أحلام: "من بعد الحرب ما ذقنا لحمه ولا دجاج، صرنا ناكل أي شي"، وتضيف أنهن يمضين أسابيع طويلة دون القدرة على الاستحمام نظراً لتضرر شبكة المياه في المنطقة، "وما أكثر الأيام التي باتت فيها والعرق المالح يحرق بشرتها الحنطية ويستحضر أمراضاً جلدية هم في غنى عن نفقات علاجها.

تتذكر أحلام أحد المواقف، ثم تضع يدها على فمها لتسكت كلمات سرعان ما خرجت تصحبها الدموع عندما شج والدها رأسها بحجر قذفه تجاهها وأهان مشاعرها بالسباب والشتائم أمام جيران جاءوا لتفقد أحوالهم بعد الحرب، وتتساءل : "لماذا ولدنا في هذا المكان، وهل هو عقاب أن نأتي للدنيا ويمارس علينا كل هذا العذاب".

تجلسان مقرفصات على بقايا أحجار فوق سطح المنزل، تلتفتان بريبة وتوجس، وتهمسان خوفا من سماع والديهما لشكواهما، فتتذكر ألاء (23 عامًا) جيدًا عندما أصيبت بمغص حاد مع منتصف الليل تقول إن والدها لم يراعي آلامها وبقيت تصرخ وتجرُ رجليها زحفاً إلى شقيقتها سمية التي تكبرها بعامين حتى فزعت لنجدتها ونقلتها على الفور إلى المستشفي القريب من مسكنهم.

اعتاد والدهما كل صباح الوقوف عند الباب والصراخ بهن : "الله ياخدكم قوموا إلحقوني على الأرض" وتضيف أن العمل في حرث الأرض يرهق كاهلها كثيرا ويدمر أنوثتها ونعومة يديها، والأكثر إيلاماً أن الشتم والضرب دائماً يعقب كل ما نفعله ولا ننال رضاه حتى لو عملنا ليل نهار، وفي المساء هي وأخواتها الأخريات يسقطن كأوراق الخريف في غرفة صغيرة.

"أبويا يستخدمنا كعبيد عنده، ولا يهتم بأمرنا وألمنا" هكذا همست آلاء وهي تقاوم عبراتها وتتمنى أن تعيش حياة الفتاة بخصوصيتها، وذهبت إلى ما هو ابعد من الحاجة للنقود، فالأمر كان يتعلق بحاجتها الماسة لشراء أغراضها النسائية الحساسة، ولكنها لا تجد من يساعدها بذلك، عوضاً عن انعدام الخصوصية في المنزل وعدم الاكتراث لكونها أنثى بحاجة لإغلاق باب غرفتها عند تغيير ملابسها.

ومن شدة الغضب والقهر، ترهن الفتاتين راحتهن وعودتهن لممارسة حياتهن الطبيعية بوفاة والدهن، على اعتبار أن بقاءه على قيد الحياة لن يجلب لهن إلّا مزيدًا من العذاب والشقاء، وأكدن أن والدتهن ما عادت تربطها بزوجها أية علاقة بفعل وقوع الطلاق أكثر من مرة عليها، غير أن مكوثها في البيت اضطراري من أجل الحفاظ على ما تبقى من شرف بناتها، على حد تعبيرهن.

مع غروب شمس يوم العشرين من شهر تموز عام 2014، هاجمت الجيش الإسرائيلي حي الشجاعية بقذائف المدفعية وصورايخ الطائرات الحربية المقاتلة، وتقول ألاء إن صوت القذائف انتشر آنذاك في كل مكان، يخالطه أصوات صراخنا جراء الخوف، وأنها عندما توسلت لأبوها للخروج وأخواتها من المنزل، صفعها صفعة مؤلمة على وجهها وأمرهم بعدم الخروج من المنزل رغم القصف وإلا سيطلق والدتهم.

"ألحق يابا البير انقصف" بنفس متقطع قالها الابن الأصغر في الأسرة، تروي ألاء انه سرعان ما علت أصواتهم بالصراخ والبكاء عندما وجدوا والدهم ووجهه يبذر شرًا في الأجواء، ويوصد باب البيت بإحكام حتى لا يدعهم يغادرون المنزل رغم انهمار القذائف على المنطقة، وتضيف قائلة: "مع انه صوت القصف عالي إلا أن صراخ أبويه كان أعلى وهو يقول تنحرقوا كلكم، البير أهم منكم".

قصص
بقلم
منال ياسين

بين القبور
هجران ومسؤولية

وسط المدينة وتلوث الزحام، في ذاك الركن المكتظ بضجيج الشارع وأزيز محرك السيارات، وجدتها جالسة تفترش الأرض متربعة القدمين، تحتضن طفلها ذي الـ 5 أشهر بين يديها النحيلتين اللتين أنهكهما التعب، تفرش أمامها بضع سلع بسيطة تقتات منها، دبابيس وعلبة طلاء للأحذية وأغلفة للهوية وجوازات السفر، تلك هي تجارتها التي لا تسمن ولا تغني من جوع، رأس مالها 50 شيكل اقترضتهم مقابل تسديدهم من مبلغ البيع، ومربحها لا يتجاوز الـــ 20 شيكل.

(ك. ن) ابنة اثنين وعشرون ربيعاً، أقحمتها الحياة في صخبها عنوة، هجرها زوجها منذ 7 أشهر أي بعد انتهاء حرب 2014 مباشرةً لعدم قدرته على الإنفاق عليها وعلى أطفالهم الـــ 5، تقول :"بيتي مفتوح على ذراعيه، لم تبقى الحرب لي سوى غرفة واحدة، تركني زوجي ووجدت نفسي أمام مسؤولية أطفالي الـــ 5".

استرسلت في فضح تفاصيل جرحها الغائر :"لم تصرف لي سوى 1200 دولار أميركي تعويضاً للأضرار التي أصابت البيت خلال الحرب، رغم تصدعه بالكامل وانهيار أكثر من نصفه، حتى أن السور الخارجي الذي يفتح بابه على القبور تدمر هو الآخر".

"يقتلني الرعب من الأفاعي والعقارب التي يمكن لها التسلل داخل البيت بسلاسة، فلا أبواب ولا شبابيك، قمت بوضع ألواح (الزينكو) فقط لتسترني وأطفالي، فالمبلغ لا يكفي لأصلح جميع الأضرار، وليس لي حيلة على المراجعة وزوجي لا يساندني".

روحها التائهة بين جدران الموت تأكلها العبرات :"أجلس في البيت وكلى خوف من أن ينهال البيت المتصدع على رؤوسنا، كما أنني لا أملك كشافاً أو حتى شموع لأضيء عتمة المساء، فأضطر لإشعال النار من الحطب الذي يلتقطه أطفالي من الشوارع كي أنير به ونأمن أنا وهم شبح العتمة، فضلاً عن أنني أطهو عليه حين عدم تمكني من تعبئة أنبوبة الغاز"

في عمر الخامسة عشرة تزوجت لتقطن مع زوجها في غرفة ببيت عائلته، وكانت والدة زوجها تتلذذ بتعذيبها وضربها مرة تلو أخرى دون أي تحرك من قِبل الزوج، حتى حذا بها الأمر لترك البيت بعد عراك وصل للمحاكم.

تقول (ك. ن) :"كان زوجي يعمل في البناء إلى أن سقط على ظهره، ومنذ ذلك الحين لم يعُد يقوى على العودة لذات المهنة، لديه رخصة قيادة، كما أنه يجيد الخياطة، لكن وضع غزة لا يسمح له بالحصول على أي فرصة عمل".

صباحاتها مساءات مقفرة، تنام وتستيقظ وسط القبور، (ك. ن) تضيف :"انتقلت إلى بيت تعود ملكيته لأمي، في ذات المقبرة التي تقطن، وكان ذلك منذ عامين، والدي رجل سبعيني وهن العظم منه واشتعل رأسه شيبا، لا يقوى على العمل، لدي 10من الإخوة، يعانون من وضع اقتصادي سيء، لا يمكن لهم الإنفاق عليّ وأطفالي".

بدأت الحرب ونزحت كالكثيرين هرباً من القصف إلى مدارس الإيواء، لم تجد لها مكاناً في إحدى الفصول، كل ما أُتيح لها هو خيمة نُصبت وراء الحمّامات في وضع يرثى له، حينها كانت (ك. ن) تحمل في أحشائها طفلها الـــخامس ، لكن زوجها كان لايزال معها.

بلسعةٍ في قلبها تتحدث :"حين انتهت الحرب عدت لبيتي لأتفقده، وحين وجدت الأمر بهذا السوء عدت إلى المدرسة لأفاجئ بأن المدير قد لغى اسمي من الكشوفات، وهذا ما أفقدني حقي في الحصول على المساعدات التي تأتي خصيصاً للنازحين، كما أن زوجي كان قد نشب شجار بيننا بسبب عدم تحمله مسؤولية الانفاق علينا فتركني وحيدة".

تورمت قدميها وهي تذهب من مدرسة إيواءٍ لأخرى، لكنها لم تجد بد من ذلك، فاستسلمت في أحضان الهموم علّها رحمة السماء تشفق عليها من قساوة البشر.

كان لابد لها أن تكابد الأمرين كي تجد ما يسد رمق أطفالها الذين يكبرهم ابن الـــ7 أعوام ويصغرهم ابن الـــ5 أشهر، تلعثمت الكلمات على عتبات شفتيها الغارقتين في بحر التوهان، وجفونها الغضة التي تشتبك ملؤها العبرات :"أذهب كل يوم جمعة إلى السوق كي أللم ما قد تساقط تحت البسطات من الخضار، كما

وألتقط رؤوس الأسماك والدجاج الملقى على الأرض كي أطبخه لأطفالي فهم لا يرون اللحم سوى في العيد، كما أنهم لازالوا بحاجة للنمو".

تتابع :"يرمقني المارة بنظرات الاستهزاء، بيد أنهم يعيبون عليّ القيام بذلك الفعل الذي يعتبرونه مشيناً فيما أعتبره أنا رزقاً ساقه الله لي كي لا أمد يدي وأتسول من أحد، فـ (كبونة) الوكالة التي أحصل عليها كل 3 أشهر لم تكن تعوض صغاري كل ما يحتاجونه، كما وأنني ذهبت إلى الشؤون الاجتماعية كي تساعدني لكنهم طردوني واستحقروني".

رَكَا عليها الحِمْلَ، منذ ولادة محمد، فأجبرها على الخروج للشارع قاصدة تحصيل الرزق بعرق جبينها فلا مناص أمامها غير ذلك، فمحمد يعاني من نقص في الكالسيوم نظراً لعدم تقبله الرضاعة الطبيعية، لذا فهو يحتاج أسبوعياً لعلبة حليب خاصة يبلغ ثمنها 28 شيكل، ناهيك عن البامبرز الذي يبلغ ثمنه على الأقل 20 شيكل :"اضطررت لأجعل ولدي ابن الـ 7 أعوام يبيع أغلفة الهوية على الإشارة، كوني لا أستطيع تأمين كافة المصاريف وحدي".

تكمل (ك. ن) حكاية الحياة التي لم ترحم ضعفها :"ولدي عدي يبلغ 5 أعوام، لا حيلة لي بإدخاله الروضة، وأخبروني أنه لا يمكن لي تسجيله العام القادم في المدرسة دون شهادة الروضة، لا أدري ماذا أفعل وأنا بالكاد أأمن قوت يومهم البائس؟!".

تلك التجاعيد التي أتت على يديها تشير أنها امرأة تناهز الـ 70من عمرها، كيف لا وهي لا تملك غسالة ولا حتى ثلاجة، اختصرت أمنياتها التي اختلط بشعورها الذي افترضته جدلاً بكره أطفالها للحياة :"أتمني أن أستطيع تعليم أطفالي كي يصلوا مراتب عليا بعيدين كل البعد عن الفقر والحاجة".

أبغض الحلال والحرب تدفعاها نحو المجهول

للوهلة الأولى ثمة شيء لا يمكن لك استنطاقه.. عاجزة عن الحديث وكأن لقمة علقت في سقف حلقها جعلتها تتهاوى سبعين خريفاً إلى ما وراء الألم الذي تختزله بين ضلوعها الهشة.

(ص. م) ذات الـ 59 عاماً، مطلقة ولديها 8 من الأبناء، مناصفة بين ذكور وإناث، جميعهم متزوجون عدا أصغرهم ذي الـ 21 عام، أرهقتها الحياة بمطباتها المتتالية، حين تراها لا تدرك حجم الألم الذي تحتضنه بين جنباتها، استدانت لترص حجر على حجر لتبني لها غرفة بمنافعها بجانب بيت ابنها البكر المتزوج في مدينة خانيونس، تقول :"لا أستطيع السكن مع أيٍ من أبنائي، ففي هذا الزمان لا أحد يحتمل أحد، ولا أرغب أن أكون عالة عليهم".

وجاءت الحرب التي كانت أشد ضراوة من سابقاتها، 2014 السنة التي قسمت ظهر البعير، فقد أحالت البيت الذي يؤوي (ص. م) إلى ركام حين سقط صاروخ الحقد عليه.

(ص. م) والتي تعمل آذنه في إحدى مدارس الأونروا منذ 42 عاماً تقول والمرارة تعتلي ملامح وجهها :"كنت أقطن في مدينة خانيونس، في بيت شيدتهُ أنا وزوجي وقمنا بتسجيله باسمنا سوياً، فقد تقاسمنا الأموال مما قد ادخره خلال عمله في الخيزران والذي تركه قبل البناء بوقت قصير، كما وأنني وضعت فيه كل ما أملك، كما استدنت مبلغ 15 ألف دولار أميركي لاستكمال البناء وتجهيز البيت بجميع احتياجاته".

وتضيف :"قبل عامين من بدء الحرب، حدثت بعض المشاكل بيننا وبين الجيران، مما اضطرنا لبيع البيت وشراء آخر في مدينة غزة بمبلغ البيع، إلا أن زوجي كتب البيت باسمه".

لم تثر ثائرة (ص. م) عند سماعها بانفراد زوجها بملكية البيت، فلم يخطر ببالها يوماً أن يغدر بها، إلا أن الطمع والجشع غشى على عينيه، كيف لا ورفاق السوء حرضوه على ارتكابه أشنع جريمة بحق زوجته

التي ما كلّت ولا ملّت من الانفاق بسخاء عليه وعلى أبنائها طيلة 42 عاماً.

اندحرت دمعاتها الساكنة في جوف ذاتها المظلمة وكهوف هزائمها المترامية على أطراف وجنتيها :"حين علم زوجي أنني أريد أن أسدد المبلغ الذي تورطت به حين بنيت بيتي في خانيونس من مبلغ البيع، بدأت المشاحنات تثور بيننا يوماً تلو آخر، وأخذ يختلق المشاكل، ويعمد لتشويه صورتي كي يبيح لنفسه تطليقي دون أن يحمل أي نوع من الذنب تجاهي وأبنائي".

لم تستسلم (ص. م) بعد طلاقها قبل الحرب بعام ونصف، بل إنها قد لجأت للعمل بالتجارة البسيطة، في بيع الملابس والإكسسوار كي تسدد المبلغ للدائنين، لكنها الويلات أبت إلا أن تكون رفيقة دربها، فقد خسرت وتورطت بدين أكبر.

شهيق وزفير بتنهيدة حادة :"حين تدمر بيتي الذي أنشأته حجر على حجر في مدينة خانيونس، عقدتُ العزم على التطوع في مدارس الإيواء في مدينة غزة، كي أخدم المواطنين الذين هجروا منازلهم قسراً بفعل الحرب".

وتذكر (ص. م) أنها حين انتقلت للعيش بمدينة غزة نقلت عملها إلى إحدى المدارس هناك، وحينما طُلّقت وعادت إلى مدينة خانيونس لم يعُد بالإمكان أن تنقل عملها مرة أخرى، مما زاد العبء عليها، فكانت تتكبد عناء الطريق يومياً من مدينة خانيونس إلى مدينة غزة مقر عملها.

انقضت الحرب و (ص. م) تتنقل من مدرسة لأخرى، فالاستقرار أصبح درباً من الماضي بالنسبة لامرأة فقدت الزوج والمأوى، أما ابنها الذي لم يتزوج بعد فقد عاد في الحرب إلى البيت الذي يقطنه والده، حيث بنى لنفسه غرفة من الـ "الزينكو" على سطح البيت.

لم يأل الأب جهداً في استفزاز ابنه كي يخرج من البيت، لكن ما كان من الولد البار إلا أن يمتص غضب أبيه، ولو كان الأب طرد ابنه بشكل مباشر لما تردد الابن في طاعة أبيه وتنفيذ رغبته.

تكاثر الدائنون حولها مطالبين باسترداد مستحقاتهم :"رفعت قضية في المحكمة كي أتمكن من تسديد الديون المتراكمة على كاهلي، فطليقي يُنكر حقي في البيت، رغم أنني دفعت مبلغ 35 ألف دينار أردني من ثمن البيت البالغ 65 ألف دولار أميركي وهو المبلغ الذي قبضناه من بيع بيتنا في مدينة خانيونس، أي ما يعني أنني يحق لي أكثر من نصف البيت".

وتتابع :"أظهرت أوراقي الرسمية التي تثبت حقي في البيت الذي بعناه في مدينة خانيونس والذي كان مسجلاً باسمنا نحن الاثنين إلى عدالة المحكمة، كما أن السمسار الذي ابتاع لنا البيت الجديد أخذ مني النقود ليكمل ثمن البيت، فهو بذلك أصبح شاهداً على حقي المسلوب".

ولأن القانون في صفها قام باستئجار شهود الزور، فمنهم من ادَّعى أنها مستأجرة بيت ولا تعيش في إحدى مدارس الإيواء، والآخر شهد بأن طليقها قد سدد الديون المتراكمة عليها.

(ص. م) ليست تطمع بشيء سوى أن يحقق القضاء العدالة، فإما أن يحكم لها بأخذ جزء من البيت بما يتوافق مع حقها الشرعي، وإما أن يقدر ذلك الجزء بمبلغ تستعين به على شراء بيت ولو بسيط يستر حاجتها، لتتمكن من سداد ديونها من راتبها الذي تتقاضاه من وظيفتها.

يشتعل التفكير في عقلها يوماً بعد يوم فعجلة الزمان تدور رحاها في تلك المدرسة التي تقطن.. في تلك الساحة وذاك الفصل وهذا المقعد، وتمر الساعات يلدغها العقرب الذي يتجه نحو غروب يوم وبزوغ آخر..

وتهيمن الأفكار على مستقبلها المجهول المتروك في قبضة القدر، كون القضية تتأجل في كل جلسة، ويبقى التساؤل الأهم أمام (ص. م) :"لستُ أدري ماذا سوف يحل بي بعد انتهاء مشكلة النازحين وعودة المدارس لاستقبال الطلاب وانتظام الدراسة فيها من جديد؟!".

امرأة في الزحام.. تحن إلى بيت الجرذان

حكايتها ليست بالهُلامية، حين تغوص في تجاعيد عقلها حتما سوف تتعثر بحطام باتَ سُباتاً منذ زمن ليس ببعيد، يثور بين الحين والآخر ليقُضَّ مضجعها، فيرتعد قلبها مرات ومرات، فتحتضنها جدران المستشفى في غرفة العناية المركزة، "ابتعدي عن التوتر والقلق ولا ترهقي نفسك" قالها الطبيب ناصحاً (ل. ع) بعد خروجها من المستشفى.

تلك الثلاثينية الجاثية على ركبتيها، فوق الفراش المنطرح على أرضية الغرفة، بلباسها المتشح بالسواد، متزوجة ولديها 4 من الأطفال، تروى حكاية التشرد التي تعيش :"حرب الـ 51 يوماً لم تتركني وأطفالي بسلام، فطائراتها الحربية أودت بجدران بيت الأسبست الذي يحتويني إلى مهب الريح".

زوجها المتزوج بأخرى لم يكن دائما بجانبها وأطفالها، فليلة معها وليلة مع الأخرى في البيت الذي استأجره لها :"في الليالي الأولى للحرب خاصة تلك التي يغادرني فيها زوجي، أشعر بخوف شديد، يجعلني أبكي بحرقة، حتى أنني إن غفوت لحظة أستيقظ والفزع يتملك حواسي".

وتتابع :"كان جسدي يرتعش رعباً، والكوابيس تسيطر علىّ، فتحمُّل المسؤولية ليس بالشيء الهين، كل تفكيري منصب على أطفالي، أتساءل لو حدث أي قصف بجوارنا كيف لي التصرف دون زوجي؟!".

لم تكن تشكي المرض، ولكن هيهات هيهات وشبح الخوف يطاردها ليل نهار، فقلب الأم يعلو تارة ويهبط أخرى، رفة القلب وضيق التنفس كان يحدق بها من كل حال، لتمكث في المستشفى مرة تلو أخرى.

بقلبها المنتفض رعباً تترك بيتها قاصدة بيت أهلها، إنها الحرب وزوجها الغائب الحاضر من أجبراها على ذلك :"تركته لزوجته الجديدة، وحرمت منه أنا وأطفالي، غير أنني تحملت مسؤوليتهم لوحدي".

تقـــول وقد تعالت نبضاتها وكـــأنها تلهث من فرط الصدمة :"في البـــداية سقط صاروخ على بيت جيراننا

فاتجهت إلى بيتي لأخرج الأوراق الرسمية، ولكن حين دخلت البيت أصابني الذهول، فقد وجدت الأسبست والباطون محطم في المكان الذي اعتاد أولادي النوم فيه".

أخذت (ل. ع) الهوية وكرت المؤن فقط، وهربت راكضة إلى بيت أهلها فعلى حد قولها كانت المنطقة خالية كمنطقة أشباح، ما هي إلا دقائق حتى سقط الصاروخ الذي دمر بيتها بالكامل، علها العناية الإلهية من رافقتها لتنجو من موت محقق.

"اضطررت لمغادرة بيت أهلي لإحدى مراكز الإيواء كون وضعهم المادي صعب وزوجي لم يكن يكترث بالإنفاق علينا، كما وأن المسجد المجاور لبيت أهلي قد قصف وانهار جزء كبير منه فلم يعد يحتمل وجودي وأطفالي"

لم تنتهي مأساة (ل. ع) عند هذا الحد بل إن بيتها الذي أصبح ركام هو بالأصل يعود لجد زوجها المتوفى، وتعود ملكيته الآن للورثة الـ 9 بما فيهم والد الزوج، غير أن لجنة الأضرار قد سجلت البيت باسم والد الزوج.

أزيز المصاعب يشتد والحرب لازالت على أشدها "كنا ننتظر بفارغ الصبر أي أموال من أي جهة كانت ممن توزع على المتضررين كي نستأجر بيتاً، ونترك مدرسة الإيواء التي عانينا فيها الكثير، وكنت قد عرفت أن إحدى المؤسسات وزعت مبلغاً مالياً فكانت الصدمة".

تفاجئت (ل. ع) وزوجها بأن والده قد استلم المبلغ دون أن يعطيهم أي جزء منه، وبدأت المشاحنات والخلافات تدب بين الزوج وأهله، وبعد انتهاء الحرب، تدخلت الوساطات، وتم الاتفاق على إعطاء الزوج جزءاً من المساعدات المادية التي استلمها والده، فيما استأجر بها بيتاً لـ 3 أشهر.

بعد انقضاء الأشهر الـ 3، عادت (ل. ع) إلى نفس المعاناة ـمدارس الإيواءـ، فوالد زوجها طرده من محل الخياطة الذي كان يقتات خلاله، وذلك بعد مطالبته بمبلغ المساعدات التي أخذها والده دون وجه حق، فقد أصبح الآن عاطلاً عن العمل ناهيك عن أن أصحاب القروض والكمبيالات رفعوا ضده قضايا في المحاكم.

تغرغرت عيناها بالدموع، لم تتخيل يوماً أن تفقد الأمان والاستقرار :"لم أجد أمامي سوى التفكير بالعمل، توجهت لإدارة المدرسة التي نزحت إليها، وهنا عُرض عليّ عرضاً لم أكن لأقبله لولا أطفالي، فأنا خريجة الخدمة الاجتماعية منذ 2009، كيف لي أن أكون عاملة نظافة في المدرسة، كان من الصعب عليّ تقبل

الأمر لكنهم أطفالي".

4 شهور مدة عقد العمل لـــ (ل. ع) كعاملة نظافة، انتهت قبل أيام، بعدها لن تجد مالاً كي تدفع الإيجار، أبلغت زوجها لكنه أيضاً لم يدفع إيجار بيته الآخر منذ 8 أشهر.

بلسان الحسرة تقول :"البيت الذي وضعت ذهبي لبنائه مع كل ما يملك زوجي في عمارة والده، لم يكتمل فلا كهرباء ولا ماء، هي فقط جدران تلتف بعضها بعضاً، رغم اقتراض زوجي عن طريق أصدقاءه كونه غير موظف لاستكمال البيت إلا أن ضيق العيش أجبرنا على التوقف".

وتضيف :"حتى هذا البيت تنكر له والد زوجي فلم يكن لدينا أوراق ملكية خاصة، كما ويحذرنا من الاقتراب منه، لا سبيل أمامي سوى العودة إلى مدارس الإيواء بعد انقضاء هذا الشهر، فوالد زوجي رفض أيضاً الإمضاء على ورقة للوكالة تجمع كافة الورثة تفيد بأنه لا مانع لديهم بأن يصرف لنا مبلغ للإيجار رغم إمضاء الجميع".

تعود (ل. ع) إلى الوراء فتنزلق على شفتاها أعباءً أثقلت كاهلها منذ اللحظات الأولى لانتقالها لبيت الجد قبل الحرب بـــ 3 سنوات، تقول :"عانيت كثيراً حين أقدمت على العيش في ذلك البيت، فالجرذان كانت تلهو ليلاً على رؤوس أطفالي الأربع النائمون على فراشهم الملاصق للأرض".

وتتابع :"لك أن تتخيل حجم الرعب الذي ينتاب أطفالي، حتى نهاراً لم يكن يخلو البيت من ضجيج أولئك الجرذان، فضلاً عن الغرق أيام المنخفض في الشتاء والبرد القارس الذي يكاد يفتك بجسدي وأطفالي، لكنني الآن أفتقده وبشدة فقد كان الحامي لنا من ذل الآخرين".

لهيبُ الحربِ يحرق تفاصيل امرأة

بينَ مقاعد الدراسة وجدتُها بائسة.. تحمِلُ بين ذراعيها بضعاً من الأملْ.. طفلها الرضيع .. تعلو مُحيَّاها ابتسامةً خافتة.. تثُورُ على وجنتيها متمردة.. هي العابسة المبتسمة سيئة الحظ .. هي (ن. ع) امرأة من زمن الحرب.

مرت 3 عقود منذ ولادة (ن. ع) في حي الشجاعية بمدينة غزة، تصاعدت خلالها وتيرة الأزمات التي أشعلت معها قلبها المترامي على عتبات الحروب الملازمة لشعب مُحتل.

15 ذاك الرقم الذي يوازي أعوام الزواج التي قضتها (ن. ع) في كنف زوجها، وعمرها حين دخلت عالم المسؤولية الذي أنجبت خلاله 4 من الأبناء، أكبرهم تبلغ من العمر 13عاماً وأصغرهم يبلغ من العمر عاماً ونصف.

"معاملتي مع زوجي وأبنائي اختلفت كثيراً مذ وجدت نفسي بين جدران فصل دراسي، أصبحت أكثر عصبية، تفكيري مشتت، كيف لي السيطرة على أبنائي وحمايتهم من التكدس الذي لجأنا إليه رُغماً عنا" هذا ما استطاعت شفاهها البوح به في بداية حديثنا.

ضجيج الحرب يجثو على ركبتيها المتلاصقتين عنوة، يعصف بهما التوتر لتخرج الكلمات بالمآسي المندفعة طوعاً وكرهاً :"أعاني عدم التركيز، والنسيان أصبح يلازمني، فهمومي تفوق الجبال، فصل دراسي يحوي 9 عائلات مختلفة، أفتقد فيها الخصوصية، لم أكُن أستطع رفع الحجاب عن رأسي حتى وقت النوم".

تُردف :"يضم الفصل الذى نسكن 92 نازحاً، لم تثنيني ضيق المساحة من أن أصنع حاجزاً من مقاعد الدراسة لحماية أطفالي، تعرضت حينها للانتقاد ممن حولي، إلا أنني لم أكترث لأحد".

الحر شديد، فشمس تموز تلقي قار غضبها على الأرض، ينصهر عرق الحر مع الخوف ليُنتجا معادلة المرض، وهذا ما تخشاه (ن. ع) كونها تجنباً للاستحمام في الحمّامات العامة اتجهت نحو استخدام الأوراق المعطرة لتمسح بها جسدها وأطفالها.

ترصد (ن. ع) معاناتها فتقول :"لعل من أكبر المشكلات التي واجهتها هي مشكلة الحمّامات العامة، فلم تكن الأوراق المعطرة بالطريقة الأنجع للتخلص من رائحة الجسم والأمراض التي تصحبُها، فعقدتُ العزم على الاستحمام في تلك الحمّامات، وكانت المرة الأولى والأخيرة، فطرْق الباب لم يتوقف، ناهيك عن الشتائم ومطالبتي بالخروج".

تواصل :"أخذت قراري باصطحاب أطفالي كل 3 أيام لبيت أختي للاستحمام، تجنباً للمشاكل والاحتكاك مع الآخرين، أما الاستخدام الآخر للحمّام فشرّ لابد منه يجبرك على الولوج إليه رُغماً عنك، ناهيك عن أن من أراد استخدامه عليه انتظار دوره".

مشكلة التحرش والاغتصاب إحدى المشاكل التي حدثت خلال الحرب نتيجة الاكتظاظ والوضع النفسي الغير سوي الذي يعاني منه البعض، وهذا ما زاد خوف (ن. ع) على بناتها :" كنت أمتنع عن إرسال بناتي فُرادا للحمّام، خوفاً من أي مكروه ممكن أن يحلّ بهن".

لم تُخفى تلك العينين التائهتين في أرجاء غرفة الفصل قلقها على زوجها الذي يعاني من مرض السكري والكبد الوبائي :"كان زوجي ينام في فناء المدرسة، غطاءه السماء، وفراشه الأرض، كنت أخشى عليه أكثر من نفسي، كنت أشتهي أن نكون معاً نآزر بعضنا، ونشدد أزر أطفالنا الذين أكل الرعب ملامح وجههم".

وتتابع :"نوبات الحنين كانت تقُض مضجعي، بيتي الجميل، فراشي الدافئ، زوجي وأطفالي، كل شيء أصبح من الماضي، لم يخطر ببالي يوماً أن أفقد الأمان والاستقرار، أن أشتاق لأختلس الوقت للذهاب في نزهةٍ مع عائلتي، أن أشتاق لزوجي وهو يربتُ على كتفي لأنسى كل ما كان يُرهقُني في تأمين مستقبل أطفالنا".

(ن. ع) والتي خضعت لعملية غضروف منذ عام ونصف، لازالت تعانى حتى اليوم، وما زاد الطين بلة فقدانها بيتها ونزوحها إلى مدارس الإيواء، فقد رافقها ضيق في التنفس أيضاً :"استطعت السيطرة على أطفالي ولكن ذلك استهلك صحتي وعافيتي، فبناتي الـ 3 من المتفوقات في مدرستهم، صببتُ جُلَّ اهتمامي بهم، وددتُ أن أفخرَ بإنجازاتهم لأعوض ذاتي كوني لم أكمل دراستي، لذا عانيت كثيراً في بداية الفصل الدراسي، بدءً من نقل ملفاتهم من مدرسة الشجاعية لمدرسة قريبة من مركز الإيواء، وانتهاءً بالجو الغير ملائم للدراسة".

بيتها المنشأ على مساحة 150متراً يحوي غرفة خاصة للبنات، ومكاتب خاصة للدراسة، أي ما يعني أنهن افتقدن كل شيء، فالألم النفسي استوطن الأجساد لا محال.

وحول زوجها تقول :"كنا لا نجد مكاناً حتى للتحدث مع بعضنا، فكلما خرجنا لفناء المدرسة وجدناها متكدسة بالنازحين، فلا مجال للحديث الخاص".

الاستقرار النفسي هو الشغل الشاغل لـ (ن. ع) :"كنت متعبة جداً، نفسياً وجسدياً، ولكن يهون الألم الجسدي مقابل الراحة النفسية، فمنذ 3 شهور تحسن الوضع قليلاً، حين انتقلت إلى "بيت الدرج" في المدرسة، فأصبحت أستطيع الاختلاء بزوجي وأطفالي، لنعوض بعضاً من الفقد الذي عايشناه خلال الفترة الماضية".

لا تفتأ تذكر اللحظات العصيبة التي مرت بها وعائلتها لتحيلها نازحة تقطن مدارس الإيواء لتعود إلى مقاعد الدراسة، لكن هذه المرة ليس لاستكمال دراستها بل للسكن فيها كمأوى بالكاد يؤمن لها كفاف الطعام لتسد رمق أطفالها.

جثم ليل الأحد ولا تزال القذائف تنهال كغثاء السيل على أضرحة المحكوم عليهم بالموت، إنه "الأحد الأسود" كما أسموه أهالي المنطقة، خرجت العائلة عدواً كي تنجو بحياتها، وبعدما ابتعدوا مسافةً عن البيت أصيب والد زوجها بحجر شجّ رأسه جرّاء القصف، ، حينها سقطت (ن. ع)مغشياً عليها، ونقلت إلى المستشفى ومنها إلى مدرسة الإيواء.

تقول :"بعد طول انتظار حصلنا على مبلغ 1400 شيكل للإيجار وإخلاء المدرسة، ورغم أن المبلغ لا يكفي لشراء عفش جديد بعد الذي فقدناه في بيتنا، أو حتى ما يعين على توفير لقمة العيش، إلا أن الأهم بالنسبة لي هو الاستقرار العائلي الذي افتقدته كثيراً هنا".

قصص
بقلم
هيا بشبش

مسيجة بآلام الغربة واليتم والفقد

قد تتشابه القصص والروايات ولكن هناك دائما شيء مختلف فالتفاصيل تأخذنا لأماكن لم نكن نتخيل الوصول إليها يوما، السيدة هيام ساقتها أقدارها من بلاد الحجاز البعيدة حيث الأهل والسلام إلى غزة لتشهد مصرع زوجها أمام ناظريها ولم تقتنع بعد أن أجله قد حان .

كانت هيام ابنة الأربعة عشر عاما حينما أتت في زيارة من السعودية لغزه، ومن هنا بدأت الحكاية، عندما قامت خالتها بخطبتها لابنها، ولأنها يتيمة أرادت الام أن تأمن مستقبل ابنتها وأن ترفع بعضا من الحمل الثقيل عن كاهلها حسب اعتقادها، فوافقت وتزوجت هيام وأنهت المرحلة الاعدادية من الدراسة أثناء الخطبة لتتزوج بعدها .

تزوجت وكانت حياتها قمة في السعادة والحب كما تصف، وأنجبت ابنتان وثلاث أولاد، تقول : " كان أبنائي ووالدهم كل ما لدي في هذه الحياة لم أتوقع للحظة أن تأخذ الحياة طريقا آخر من الفقد " .

هيام من سكان مدينة غزة حي الزيتون ، حينما بدأ العدوان الأخير على قطاع غزة 2014 ومنذ اليوم الأول قامت هي وأسرتها بإخلاء المنزل، توجهت الأسرة لمنزل أخ الزوج والذي يبعد عن الأحياء المتطرفة التي تعرضت في السابق لأضرار بالغة، أقامت العائلة قرابة الشهر في منزل أخ الزوج، أعلن بعدها عن تهدئة فقررت الأسرة العودة إلى منزلهم، لتجدد الحرب ويستكملوا بقيتها في منزلهم .

اصطحبنا إلى الشرفة وامتلأت عيناها بالدموع وقالت : " في أحد الأيام العدوان بينما كان زوجي نائما مر بجوار المنزل بائع التين، استيقظ زوجي على صوت البائع فطلبت منه أن يشتري لنا التين، فلم يعارض، وذهب ليشتري التين فاستهدفه صاروخ هو والبائع مكث زوجي مصابا في المشفى لأسبوع ومن ثم فارق الحياة شهيدا " لتنهمر دموعها بغزارة وتتوقف عن الحديث .

هناك عدوان يبدأ وينتهي من عدوك، وهناك عدوان آخر لا تعلم متى يبدأ ولا تعلم متى ينتهي ولا تعلم أسبابه، هيـــام تسكن حاليا في منزلها ومنـــزل زوجها إلا أن أهل الزوج يطالبونها بالرحيل منه، والتنازل عن

حضانة الأطفال لهم ، تقول : " لم تكن علاقتي بأهل زوجي سيئة بالعكس كانت رائعة ولم أتوقع أن تتبدل يوما إلى هذا الشكل الذي اتخذوه ولكن الأمر الغريب هو التحول الجذري الذي حدث منهم بعد استشهاد زوجي، خالتي وزوجها يحاولان إخراجي من المنزل، بل لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد أصحبوا يلقون الشتائم ويصفوني بألفاظ بذيئة ويحاولون إساءة سمعتي, مررت بحالة نفسية سيئة بسبب ذلك ونقلت إلى المستشفى لتلقى العلاج " .

أهل زوجها الذين مازالوا يلّحون عليها لترك غزة والعودة إلى السعودية، بدأوا بمحاولات لرفع قضايا لكسب حضانة الأطفال .

تعبر هيام تقول : " لم أتوقع أن يستشهد هو الشيء الوحيد لي في هذه الدنيا، كان لي الأخ الأب الزوج والصديق، وكل شيء، حاليا لم يتبقى لي أحد، حتى أهل زوجي تخلو عن أخلاقياتهم في سبيل المال، ويكافئوني بالإساءة لسمعتي " .

من ظلم إلى ظلمات

يشهد المجتمع الغزي بعض الظواهر السلبية المتعددة بين فترة وأخرى، يغذيها الوضع الاقتصادي الراهن و الحصار المطبق على رقاب المواطنين وبعض الممارسات والتطبيق الخاطئ من بعض أفراده، والعدوان المتكرر على قطاع غزة ، الأمر الذي يترتب عليه عواقب وخيمة تطال المجتمع برمته.

فهناك من يقع تحت زلّة لسان، فكلمة من أربعة حروف لم يلق لها بالاً توصل أسرته بكاملها إلى حد الهاوية، هذا ما عايشته مع السيدة أحلام حينما ألقى زوجها كلمة " طالق " للمرة الثالثة دون أن يكترث بحجم الدمار و الألم الذي سيلحق بأفراد أسرته.

السيدة أحلام 33 عاماً بدأت مشوار زواجها وهي تتجرع أكواب المرارة والحظ التعيس يوما بعد يوم تسرد قصتها قائلة: " تزوجت وأنا ابلغ من العمر 14عاما ولكن زواجي لم يكن ناجحا فقد كان زوجي كثيرا ما يضربني ورغم ذلك أكملت حتى السنة الثانية في الجامعة وتوقفت عن الدراسة بعدها وأنجبت ابنتان وولدان".

وتتابع حديثها بتنهيدة حزن قوية:" كان زوجي كثيرا ما يحلف بالطلاق وكانت الطلقة الثالثة والأخيرة قبل عام ونصف أي بعد أربعة عشر عاما من الزواج المليء بالمشاكل "، موضحة أنها بعد انفصالها لجأت لمنزل أهلها دون احتضان وأولادها الذين مكثوا مع والدهم لعدم وجود مكان يحتويها هي وإياهم.

وأضافت:" أهلي غير متقبلين للوضع حتى الآن وكعادة الأهل يحملون المطلقة جميع أعباء المشكلة رغم علمهم أني كنت أعاني الأمرين لكي تستمر هذه الحياة ".

وتستطرد " قبل العدوان الأخير على غزة طردتني أختي التي تكبرني بثلاث سنوات من المنزل فهي تفرض رأيها على الجميع ، لأن والدي متوفى, ووالدتي لا حكم لها على أي فرد في الأسرة".

وبعدما وجدت السيدة أحلام أن الدنيا أغلقت الأبواب في وجهها لم يكن لها إلا خيار الذهاب إلى منزل عمها، والذي وصفته أنه البصيص الوحيد المشرق بالأمل لها حينما استقبلها بالترحيب وعدّها كابنة من بناته.

وتروى ما كانت تخبئه لها الأقدار حينما بدأ العدوان على قطاع غزة 2014:" سقطت الصواريخ بجانب منزل عمي فاشتد خوفي على أولادي كما كنت خائفة أن أموت وأنا بعيدة عن أمي وأهلي فساءت حالتي النفسية لذلك عدت إلي بيت أهلي وتعاطف معي أخي وطلب مني أن أقيم مع أولاده وأبيت بينهم حتى ينتهي العدوان ووعدني أن يبني لي غرفة داخل منزله " .

وكما وضع العدوان ملامحه على كل فرد من الشعب الفلسطيني، كان لعائلة السيدة أحلام نصيب من ذلك فتقول:" تأزمت المشاكل وما كان في السابق مجرد كلمات جارحة وشتائم تحول إلى ضرب، فأخي الذي رحب بوجودي في بيته قام بضربي لأني رفضت أن أعطيه جزء من مؤخر الصداق ليرمم بيته بسبب أضرار العدوان وتراجع عن وعوده بعد انتهاء العدوان".

وبدموع حارقة وبكلمات متلعثمة تابعت حديثها:" ازادت معاناتي إلى الأسوأ ليأخذ أخي وأهلي معي مرحلة جديدة من العقاب فقد اعتبروني دخيلة عليهم وألقوا بملابسي فوق السطح وكأنني لست ابنتهم".

وعن توجهها لأحد المؤسسات او الجمعيات لتساعدها في مشكلتها قالت المعنفة:"بعد طلاقي مباشرة توجهت لإحدى الجمعيات لتساعدني ووجدت ترحيبا واسعا وقاموا بدعمي فأصررت على أن أكمل تعليمي".

وعند انبثاق شعاع الأمل لديها وجدت من أهلها ما يثّبط ذلك الأمل حينما اعترض أهلها على صرف أموالها في إكمال تعليمها، مضيفة:" كان رأيهم أن لا أتأقلم مع ظرفي الحالي وألا أصرف أموالي على التعليم و الجامعة بل يجب صرفها عليهم وعلى ترميم بيتهم".

وبنظرة مكسورة ونبرات مجروحة ختمت أحلام قصتها قائلة:" في نهاية المطاف اجتمع جدي وخالي وعمي بعدما وصل الموضوع لواجهات الحي ورجال الإصلاح، وقرروا بناء غرفة من الخشب لي فوق " السطح " لأستقل عن الجميع".

تلك الرصاصة القاتلة التي يطلقها الزوج من فاه على زوجته يعتقد انه بطلاقه منها سيقتل أيامه معها ولكن تلك الرصاصة وكأنها " دمدم" يتفتت يوما بعد يوم في جسدها ليفتت عظمها ويتركها طوال حياتها تئن ألما وجرحاً دون علاج شافي لها.

محاولة لرفض الواقع

يُقال " لا شيء في الحياة أصعب من انتظار ما لن يأتي "، ومن هنا تبدأ الحكاية وتنتهي، السيدة ختام البالغة من العمر 28 عاما تسكن في حي الشجاعية بمدينة غزة، تزوجت في سن الثامنة عشر، من رجلٍ في الثالثة والعشرين من عمره.

بدأت حياتها برسم ملامح سعيدة ودافئة, ورغم انها تزوجت بعد حصولها على الثانوية العامة الا انها اصرت على الالتحاق بالجامعة لتتم دراستها الأكاديمية ولكن بعد انهائها الفصل الأول من الجامعة انقطعت عن الدارسة لتكدس المسؤوليات وعدم التوفيق بينها لتختار ختام الانقطاع عن الجامعة .

أنجبت السيدة ختام أربعة من الأطفال (ولدان وابنتان) وكانت تقطن وأسرتها في شقة لبيت العائلة.

لم تتوقع أن تخطو الحياة في منحى آخر غير التي خططت له كما عبرت لنا، قائلة :" كان زوجي قبل العدوان الأخير على قطاع غزة 2014 بفترة مريضا، وكان يرقد في عزل انفرادي بسبب هذا المرض، بدأ العدوان وكان لحي الشجاعية النصيب الأكبر من القصف والهجوم البري عن باقي أحياء مدينة غزة، ونحن كغيرنا من الأسر هجرنا بيوتنا هربا من ويلات الحرب, فاتجهت أنا وأطفالي لبيت شقيقتي أما زوجي فقد لجأ لبيت أحد أصدقائه " .

وأردفت " جميع وسائل الاتصال انقطعت بيني وبين زوجي طيلة فترة الحرب وذلك لبعد المسافة فأنا في حي الرمال وهو في منطقة قريبه من حي الشجاعية، ومرت الأيام كئيبة مريرة على كل منا " .

اعتلت وجهها ابتسامة من أمل وكأنه عاد, أو ربما أمنية تستطيع أن تعيد تلك اللحظات لمجراها مضيفة: " عددنا أنا وأبنائي الوقت بالثانية لانتهاء الحرب ونجتمع مع زوجي ونطمئن، فقد كانت الحرب مليئة بالويلات والخوف والفزع، ليأتي اليوم الذي لا ينسى, أتى زوجي إلي بيت شقيقتي الذي لجئنا إليه ليطمئن علينا وأخبرني أنه استأجر شقة لنسكن فيها سويا ويلتم شمل عائلتي من جديد "، وهنا ملئت عيناها الدموع انقطعت عن الحـــديث وتعلثمت, حال نظـــرها بعيداً لتكمل :" في نفس الساعة التي كان من المفترض أن

ننتقل فيها لبيتنا الجديد وبعدما قمت بتجهيز ملابس أولادي وحاجياتنا أو ما تبقى لنا من أغراض وأنا أمني نفسي بالأمنيات بلم شمل العائلة ، رن الهاتف، وكنت أظنه زوجي ولكن الصاعقة التي نزلت بي خبر استشهاده "، أجهشت بالبكاء: " حتي الآن لا أعلم لماذا رحل، أعلم أن هذا مجرد حلم سأستيقظ منه وسيكون هو بجانبي وأبناءنا يلعبوا من حولنا, سأخبره الكثير، عندما أتيت لأودعه همست له (معادنا نروح ع بيتنا ونلتقي سوا ،كيف هيك رحت) " .

من هنا عادت السيدة ختام للحالة النفسية التي تعاني منها بعد رحيل زوجها، وأوضحت الأخصائية النفسية المشرفة على حالتها بأن ختام تعاني من حالة صدمة نفسية تنكر بها الواقع وتنكر رحيل زوجها وهي حالة نفسية مرضية بدأت أماني بالتخلص منها تدريجيا ولكن مازالت هناك آثار قليلة .

وبعدما هدأت من روعها وعادت قليلا إلى أرض الواقع قالت : " أسكن الآن عند أهلي لأن بيتي قصف وقد رفض أهل زوجي إعطائي جزء من التعويضات مع العلم أني خرجت من المنزل دون أن أحمل أية ممتلكات، وقد ازدادت الأمور تعقيدا بعدما حاول أهل زوجي الحصول على حضانة الأولاد لكي يستفيدوا من أية مساعدات أو تبرعات " .

وأضافت بأن محاولات اهل زوجها زادت من حالتها النفسية سوءا بعدما تماثلت للشفاء، فهي على حد تعبيرها لا تمتلك اية حلول .

يريدون دفنها ولا تقاوم

في بعض الأحيان تختصر لنا الحياة أوجاعها في وجع واحد تهبنا إياه جملة واحدة دون ان تكترث لأعمارنا، لأحلامنا، دون أن تكترث لحداثة سننا، دون أن نعي، نكبر فنجد أننا وليدي هذه الأوجاع .

سماح 20 عاماً تقطن في مدينة غزة، تزوجت وهي في عمر 16، لم تكمل تعليمها الثانوي، رزقت ببنت وولد، كانت تقطن في غرفة مع أهل زوجها .

بوجه خالي من أي تعبير بدأت حكايتها : " حياتي كانت مليئة بالمشاكل مع أهل زوجي لم تخلو يوما من مشكلة ما، إلا أنا زوجي كان المسكن لهذه المشاكل والملجأ الوحيد، كانت اكثر الكلمات التي يرددها قبل استشهاده، سأريحك منهم "، أضافت : " في الساعة الثانية والنصف من ضهر يوم 7/22 رن الجوال، علمنا بأن زوج أختي قد استشهد، صدم الجميع من الخبر، ذهبنا انا وزوجي وأولادي إلى بيت أختي مشيا على الأقدام، كنا لم نبتعد الكثير عن منزلنا " .

فجأة بدأت كلماتها بالتلاشي كلمة كلمة، صمتت، ومن ثم عادت لتسرع كسرعة المشهد الذي وصفته : " كان هو يحمل منار، وانا أحمل أحمد، فجأة اختطف صاروخ اللحظة، سرق زوجي الذي أصيب برأسه واستشهد على الفور، منار حماها جسد والدها فلم تستشهد إلا أنها أصيبت بشظايا، أما طفلي أحمد الذي يبلغ من العمر 4 أشهر أصيب بشظية في خصره ، حتى أنا أصبت بشظايا متفرقة أكثرها كان في قدماي، نقلنا جميعا إلى مستشفى الشفاء، وهناك علمت بأن طفلي أيضا قد استشهد "، أكملت وعيناها مليئة بالدموع : " صدمة، كانت عبارة عن خناجر وضعت في قلبي، وجع القلب كان أضعاف من وجع الجسد، بقيت في المستشفى أنا وطفلتي، خرجت بعد ما تماثلت للشفاء، أما عن طفلتي فغادرت بعدي بأيام ولكن هي مازالت حتى اليوم تعاني من الإصابة " .

عادت سماح لمنزل والدها، وما لم تتوقعه سماح بأن يحملها أهل زوجها مسؤولية استشهاد زوجها تقول : " ذهبت بعدما خرجت من المستشفى فوجدتهم يحدثون الناس ويقولون لهم " هي من قتلت زوجها ، هي من

خطفته من الحياة إلى الموت "، وبعد أيام ذهب أب زوجي ورفع قضية في المحكمة ليحصل على حضانة منار، وبعد مدة من الوقت حكمة المحكمة بالحضانة للأم، وعلى أهل الزوج أن تزورهم يومان، وبالفعل بقيت إبنتي معي، وهي الآن تزورهم يومان في الأسبوع، ولكن ما يحدث أنها لم تتماثل للشفاء تماما ويمنع على أي أحد أن يضربها، وهناك تتعرض للضرب، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أنهم يحاولون إشباع أفكارها بأفكارهم المسمومة " .

عادت منار لتكمل دراستها ما آثار غضب أهل زوجها، فلا أحد الآن يقوم بزيارتها، ولا أحد منهم يعترف بوجودها، باختصار ينطبق على منار قول القائل " تنسى كأنك لم تكن "، فقط هم يظهرون إن قامت أحد الجهات بتقديم مساعدات لها كما حدث عندما تم تعويضها عن الإصابة ب 70 دينار ، حينها حضر أب زوجها وطالبها بهم ، معللا بأن هذا المال من حقهم لا من حقها، وغيرها الكثير من القصص الأخرى، هم لا يريدون أن تتأقلم مع حياتها وأن تستمر، " كل ما أرادوه أن تدفن هي مع زوجها وتندثر تحت التراب " كما وصفت .

ميتةٌ تتبعها ميتة

هل هي لعنة القدر أم هي مؤامرة أم هي ميتات متتالية، ميتة تتبع أخرى، يقلون أن المرأة نصف المجتمع ولكن إذا أردت أن تعرف امرأة هي كل المجتمع فعليك بالتعرف على ختام .

تبلغ ختام من العمر 45 عاماً وهي أم 3 أولاد وابنتان، الزوج كان يعمل داخل الخط الأخضر، أما الآن فقد تحول إلى عبئ إضافي ولا يستطيع إعانتها في مسؤولية الأسرة، تسكن ختام مع زوجها واولادها في منزلهم البسيط، كأي أسرة في مدينة غزة، ولم تكن تخلو الحياة من لحظة الفرحة ولحظات المعاناة .

أثناء العدوان الأخير على قطاع غزة بدأ الحي السكني الذي تسكنه ختام بالتعرض لقصف عنيف، اقترح عليها أبنائها بأن يتركوا المنزل ولكنها لم تشجع الفكرة نظرا لأن القصف ما يزال بعيدا نوعا ما، يومان وبدأ القصف بالاقتراب شيئا فشئيا، إلا أن آل بهم الحال إلى ترك منزلهم كغيرهم من سكان الحي توجهت ختام مع زوجها وأولادها في نهار ذاك اليوم إلى بيت أهلها الذي يبعد عنهم مسافة ليست يسيرة، وطبعا كانت الهجرة مشيا على الأقدام، وبعد يوم من مكوثها في بيت أهلها كعادته زوجها انسحب من المكان متوجها لبيت أولاد عمه حتى أنه رفض اصطحاب أي من الأطفال معه وتركهم بين السماء والطارق .

بعد اليوم التاسع للجوئها لبيت أهلها تصف لنا ختام المشهد قائلة : " دوت الأصوات في المنطقة، على الجميع إخلاء منازلهم، لأن أحد البيوت مهدد بالقصف، طلبت ختام من أمها أن تخرج معهم من المنزل ولكنها رفضت بحجة أنها تريد لفظ أنفسها الأخيرة في منزلها، انتقل الجميع إلى الجهة البعيدة عن المنزل المستهدف دون أن يعلموا أنهم انتقلوا إلى جهة البيت المستهدف، ما هي إلا لحظات حتى بدأ الجحيم " .

أضافت ختام بملامح بائسة : " صوت انفجار، دخان، أشياء متناثرة، جدران متساقطة، تيار كهربائي سرى في أجسادنا، أحال المكان خراباً، فتحت عيناي، يدي اليسرى تحت الركام، تفقدت المكان بنظري، أحد أبنائي يرقد بجواري وترقد عينه بجانبه ولا يتحرك ظننته قد استشهد فنظرت إلى ابني الآخر والذي كان يأن من يده فإذا بذراعه قد تهشم وباقي جسده تحت الركام، ساعدته في تعديل يده المكسورة، وطلبت من ابني الثالث مساعدة أخويه لكنه كان لا يستطيع الحركة بسبب الشظايا المنتشرة في أنحاء جسده " .

لطفت بهم الأقدار أن ابنتيها لم تكونان في الغرفة وقت الاستهداف، حيث قالت : " مضت مدة من الوقت ونحن على هذا الحال، حتى أتى الجيران والمسعفون وبدأوا بانتشالنا من تحت الركام، سمعت صوت إحدى ابنتي وهي تأمرهم بمساعدة خالها، فانتشلوه من تحت الركام إلا أنه قد استشهد، ثم انتشلونا جميعا "، وأكملت حديثها : " لم يعلم زوجي عما جرى لنا إلا بعد يوم من وصولنا إلى المستشفى، أتى لزيارتنا، أصابه الحزن للحظات، ثم حملني مسؤولية ما حدث، وعاد أدراجه " .

فقد أحد أبنائها عينه، والآخر أصيب بتهشم في زراعه وساقه، أما الثالث فأصيب بإصابات متفرقة في جميع جسده، تم تحويلهم إلى العلاج في المشافي المصرية لمدة ثلاثة أشهر، أما ختام فقد حولت لمستشفى في مدينة القدس بقيت هناك لثلاث أيام، وبعد رحلة العلاج، غدا ابنها الأكبر والذي يبلغ من العمر 23 عاماً لا يستطيع السير على قدميه بسبب تهشم ساقه وكانت شقيقته تساعده بحرج في بعض الأمور، أما عن والده فكان يراقب وكأن الأمر لا يعنيه، كما أنه يصب اللوم على ختام وقد حملها مسؤولية فقد ابنه لعينه، يزيد موتها موتان .

هي الحرب ولا فرق الكل مدمّى

لا يميز العدوان بين شخص ذو إعاقة وشخص بدون، ولا تميز صواريخه كذلك، عدوان متكرر يدفع بنا جميعا لتساءل دائما كم تبقى لنا من الوقت لنكون على قيد الحياة والاحتلال يستهدفنا واحد تلو الأخر دون تميز، ما الذنب الذي اقترفناه لنجد أنفسنا في بلدا منكوب يكافئنا بوهب الموت فهو لم يعتد وهب الحياة، ولكن العزم لا تحده الأداة .

هذا ما يتبادر لخاطرك عندما ترى عبير الهركلي البالغة من العمر 21 عاما من سكان مدينة غزة حي الشجاعية ، والتي تعاني من إعاقة دائمة نتيجة لإعواج العمود الفقري الذي ولدت لتجد نفسها مصاحبة له، مما أعاق حركتها وجعلها تتحرك بواسطة " السكوتر الكهربائي " ورغم ذلك فقد أكملت دراستها وهي الآن تدرس في عامها الثاني في الكلية الجامعية .

تسرد لنا عبير قصتها قائلة :" منزلنا قريب من المنطقة الحدودية، وفي الحروب السابقة كنت أصاب بالخوف وأطلب من أهلي مغادرة المنزل أما هذه الحرب فلم أخف حتى القوا علينا مناشير تطالبنا بالأخلاء فقمنا بإخلاء المنزل وذهبنا إلي بيت عمي في منطقة سوق الشجاعية فهي بعيدة عن المنطقة الحدودية .

وبعد يومين من إقامتنا في منزل عمي ضج المكان بالكامل وتعالت الصرخات لإخلاء المنازل لأن المنزل المجاور لبيت عمي سيتم قصفه وبالفعل تم قصف المنزل قبل أن نستطيع الخروج من بيت عمي ، لحظة القصف تناثرت الأشياء من حولي وتطاير الأثاث وامتلأ المكان بالغبار وحتى الأطفال الصغار تناثروا كقطع الأثاث في كل مكان، بقينا في المنزل رغم أنه أصبح آيلا للسقوط، ومع ساعات المساء الأولى بدأت المدفعية تدك الحي بالكامل كما بدأت فوانيس الإضاءة تملأ السماء ونحن لا نسمع إلا صوت الانفجارات وصوت الجيران يصرخوا أنقذونا فإذا انقطع الصوت أدركنا أنهم استشهدوا " ترقرقت الدموع من عيني عبير وهي تروي تفاصيل هذه المجزرة .

أضافت : " اشتد صوت إطلاق النار وازداد الخوف وكنا حوالي 25 شخص أطفالا ونساء وشبابا وشيوخ في

المنزل وحوالي الساعة السادسة أردنا الخروج من المنزل، وبسبب القصف المتواصل اخبرنا أخي أن نتشاهد ونخرج من المنزل اثنان اثنان، بدأوا الجميع بالخروج أما عني فلازمت مكاني فلا قدرت لي على الحركة ظننتهم قد نسوني، ولكن والدي أحضر السكوتر ووضعني فيه وأمرني بالخروج من المنزل لم استطع العبور فوق الجثث التي تملأ الشارع حاولت المرور بينهم ولكن فجأة ودون سابق إنذار وجدت نفسي ملقاة على الأرض ضمن الأشلاء، نظرت حولي فوجدت صديقة لي قد لفظت أنفاسها الاخيرة، وطفل ظننته حي أردت أن أطمئنه، استجمعت قوتي وسحبته فإذا بالشظايا قد نالت من رأسه ".

لتستطرد قائلة : " لم أستطع الحركة ولا حتى الصراخ وبينما أنا في حالتي هذه إذ بشابان يمران فشاهداني وأنا أحاول الحركة ، فقال أحدهم هناك أحياء وتوجها نحوي وحملاني وواصلا سيرهما ، في الطريق رآني أخي وقد كان آتيا لأخذي حملني أخي واكتشف أني أصبت في قدمي " .

جزءاً من الآخرة، كيوم الحشر الجميع يفر من الموت إلى الموت هكذا وصفت عبير المشهد قائلة: " أكثر ما آلمني في ذلك المشهد منظر قطع السكوتر والذي كنت أعتبره جزء مني بجانب الأشلاء" .

تكمل " ثم قام أهلي بعد ذلك بنقلي للمشفى، قام بفحصي أحد الأطباء دون أن أي اهتمام منه قال لا حاجة لي للعلاج فحالتي بسيطة، ولم يدون حتى إسمي خرجنا ووقفنا في حديقة المستشفى ثم جاءت باصات لتنقلنا لمراكز الإيواء، صعدت أنا وأخي بالباص وذهب أبي لإحضار بقية العائلة ولكن الباص تحرك قبل عودة والدي، نقلنا الباص لأحد المدارس لكنني رفضت الدخول ووقفت على باب المدرسة وأنا أبكي فأنا لا اعلم أين أهلي، سألني رجل مار ما الأمر فأخبرته بما حدث وأعارني هاتفه لأتصل بوالدي وأخبره عن مكاننا، فقال والدي أنه آت إلينا " .

لم تنتهي القصة إلى هذا الحد ، هنا الموت يخط أشكالا أخرى له غير المشهد المعتاد، بألم تكمل: " رغم أني أعاني من إصابة وإعاقة وضعوني في المدرسة في الطابق الثالث، وحينما اشتد ألم الإصابة أخذني أهلي لمستشفى القدس وقد اكتشفوا وجود كسر وحروق بالإضافة لشظية لا تزال داخل قدمي، وقاموا بعمل اللازم ثم عدت للمدرسة وبقيت أياما أرقد في زاوية الصف فقد أصبت بالهلع لا أتكلم، لا أتحرك، لا آكل، ثم بدأت

بالحركة وبتقبل الوضع الراهن واكتملت معاناتي حين رفضت المؤسسات إعطائي سكوتر بديل بحجة أن لدي واحد قديم ولم يصدقوا أنه دمر بالكامل فقد اتهموني ببيعه " .

لا زالت عبير حتى الآن خاضعة للعلاج وإصابتها لم تتعافى بعد، كيف لذلك الطبيب أن يرتكها للموت البطيء بحجة " إصابة طفيفة " .

لم تعد هنا فقدت الحاضر والأحلام

يتغير الوقت، يتغير الزمان، يتغير المكان، تتغير التفاصيل، كل ما حولنا قد يتغير، ولكن ما لم يخطر بحسبانها أنها هي أيضا من ضمن قائمة من سيقع عليهم التغير ولكن أي تغير للأسوء أم للأفضل، هنا سؤال واحد يتبادر لذهنك، كيف للعدوان بأن يخط غطرسته على ملامح وجهها وجسدها وعلى عينيها، وعلى أحلامها، وعلى أبنائها ؟؟ .

نجاح والتي تبلغ من العمر 51 عاماً من مدينة غزة، فقدت زوجها وإحدى عينيها بعدما تعرض الحي السكني إلى قصف عشوائي طال البشر قبل الحجر، " ربما تنسينا الأيام حجم فقد الزوج، وقد ننسى بعض الألم، ولكن كيف لي أن أنسى ما خطه العدوان على وجهي من تشويه، وكيف لي أن أنسى وأنا أرى الكون بعين واحدة ؟؟" هذا ما تساءلت عنه وهي تزرف الدمع من عين واحدة .

السيدة نجاح تروى لنا ما حدث بمرارة الألم، بحلم قد دفنته مع بقايا منزلها تحت الركام، تقول : " لدي من الأبناء خمسة كبيرهم متزوج، ومن البنات اثنتان، في ثالث أيام عيد الفطر وفي 2014/7/30، طالنا القصف، ودمر كل شيء حولنا، جميعنا أُصبنا وزوجي قد فارق الحياة، كنا جميعنا معا، فقدت الوعي ولم أعي الدنيا " .

وتضيف " تم نقلي إلى مستشفى الشفاء، هناك سألت عن أفرادي أسرتي واطمأننت علي أولادي وقد خبروني الأطباء بأن حالتهم مستقرة إلا أن ابني قد تم بتر رجله وزوجي تأكد خبر استشهاده، شخص الأطباء حالتي بالخطيرة، وقاموا بتحويلي إلى مستشفى في القدس، مكثت هناك ثمانية أيام تماثلت فيها للشفاء بعدما قاموا بعمل عملية لعيني وتركيب عين من الزجاج، ومداواة باقي الجروح في باقي جسدي وإزالة الشظايا منه إلا شظية واحدة مازالت حتى الآن في يدي " .

وعبرت نجاح عن حياتها الآن ب " كل شيء اختلف "، تقول : " لم أعد أنا ولم أعد سالمة كما كنت، ولم يعد من حولي كما كانوا ، اختلف التعامل، واختلفت نبرة الصوت، واختلفت الحياة " .

توقفت برهة عن الحديث ، احتضنت حفيدتها الصغيرة وأكملت : " كانت لدي بعض الأحلام كنت أريد أن أزوج أبنائي في ذلك المنزل الذي أصبح كومة ركام، وكنت فرحة بألوان الطبيعة من حولي، أنا أعاني من قصر نظر ولكن كانت النظارة الطبية تساعدني في الرؤية الصحيحة، الآن أصبحت رؤيتي ضعيفة بعين واحدة " .

أكثر ما يوجعنا ان نتعرض لأذى ما أو تشويه مكشوف على أعين الآخرين، نجاح أخفت بعض من هذا التشويه تحت " منديلها " وأخفت ما تعرض له جسدها تحت الملابس، ولكن كيف لها أن تخفي أوجعها، وكيف لها أن تخفي حجم فقدها وألمها، وكيف لها أن ترى أحلامها الآن .

حرب على جسدها و زواجها

ليس فقط الموت من يفقدك الحياة، ربما إصابة، كلمة، مرض، يجعلك من الاحياء جسدا ومن الأموات روحاً، هذا ما هدف له العدوان الإسرائيلي الأخير 2014 على قطاع غزة، بأن لا يجد أحد من سكان المدينة سلاما، جميع السكان لم تسلم من العدوان الأخير، فهنا فقد أخ وهنا أب وهنا أم وهنا زوجة وربما قد فقدت أسرة بأكملها ولم يتبقى منها غير فرد، وهنا فقدت يد، وهنا أعين، وهنا قدم ، وهنا وهنا ... في كل مكان ستجد بصمة لهذا العدوان، ومن هنا تبدأ قصة نور .

نور23 عاما من سكان مدينة غزة متزوجة ولديها من الأبناء ابن وابنة، ويبلغ زوجها من العمر 28 عاما، تقص نور علينا حكايتها تقول : " بعد عناء كبيرة، وبعد ما كنت أسكن مع عائلة زوجي في بيت واحد، تم بناء البيت بشلال من دموع، وبعبق من غبار، وبجميع معاني الصبر والتحمل، تم بنائه، كان مثل الحلم للجميع، الكل شارك في ذلك هذا وضع ألف وهذا اثنان، وهذا اكتفى بالمساعدة لعدم توفر المال، وهذا حاول تدبر الإسمنت فمع الحصار المفروض على غزة زاد الوضع سوءا، نضج البيت بعدما كبر أمام أعيننا، حجر فوق حجر، بلاطة بجانب أختها، وبعد شهرين من بنائه، حل العدوان على القطاع " .

بابتسامة عابرة أكملت حديثها : " كان أجمل اللحظات التي دونتها ذاكرتي هم تلك الشهرين ، أجمل فترة تنعمت بالراحة ، الرضى ، وكنت أتطلع للمستقبل " ، لتضيف بأسى " حل العدوان ورحل البيت " .

في الساعة الثامنة والنصف من يوم 42 من شهر سبعة، تم قصف البيت بصاروخ تحذيري، في البداية ظنت نور وعائلتها بأن هذا الصاروخ لبيت الجيران وليس لبيتهم، بدأ الجميع بتجهيز نفسه للإخلاء، ولكن الكارثة كما أوضحت نور عندما تم قصف البيت بعد ذلك بصواريخ حربية، تصف المشهد : " جميعنا كنا تكت ركام البيت، إلا القليل، بدأ الجيران بالقدوم، لرفع الركام، أزيل الركام وخرج أغلبنا بإصابات وشظايا متفرقة هنا وهنا، وفقد اثنان من أبناء عمي، بعد ساعة ونصف من الحفر، خرج الإثنان أموات، ونقل جميع المصابين إلى مستشفى كمال عدوان "

تضيف : " لم أرى أي دم ليوضح بأني مصابة بشكل كبيرة، لذلك تمت مداواة جروحي، ومن ثم تفقدت عائلتي وأبنائي الذين كانوا يعانون من إصابات أيضا، ولكن بعد أيام شعرت بألم شديد وبعد ما ذهبت إلى المشفى شخص الأطباء الوجع بأنه كسر في الفقرة الثانية والثالثة والرابعة، ومنعت من بزل المجهود، ومن الإنجاب، ومن المشي لمسافات كبيرة " .

خانها دمعها وسقط خلسة منها دون أن تشعر وهي تسرد لنا باقي الحكاية : " زادت المشاكل واحدة تلو الأخرى بيني وبين زوجي بسبب الإصابة، والآن زوجي أصبح يهددني دائما بالزواج بالثانية، بل أخذ بعض الإجراءات للزواج، مع أنه يعاني أيضا من الإصابة ، هنا فقدت أنا الحياة، وفقدت البيت، وفقدت أحلامي " .

نور مازالت حتى اليوم تعيش فوق ركام منزلها، ومازالت تتعالج من إصابتها التي حولت مجرى حياتها، من بعد ما عثرت على السعادة والراحة والاستقرار لشهرين، أصبحت الآن تعيش بلا منزل يحوى جراحها، وبدون أمان الزوج الذي قرر الزواج بالثانية .

قصص
بقلم
وسام حسان

"نهى" بلا بيت ولا غطاء

"نهى" انتظرت ساعات صباح 2014/7/20 على أحر من الجمر علّها تنجو وعائلتها من القصف الذي لم يهدأ ولو للحظة واحدة، صواريخ وشظايا وقذائف كمطر منهمر، تجمعت الأسرة كلها في مطبخ العائلة ظنا منهم أنه آمن، وفي تلك اللحظات كانت "نهى" تحدث نفسها بأن أهلها أبيدوا لا محالة، كونهم يسكنون على الخط الشرقي مباشرة.

تقول "نهى": مع بزوغ الفجر واشتداد القصف أكثر وأكثر خرجنا جميعا، كنت في حالة النفاس لم يمض على ولادتي القيصرية عشرة أيام، حمل زوجي طفلي ذي الثلاث أعوام وهو حافي القدمين، وحملت رضيعي وصرنا نسابق الموت بخطواتنا من منطقة الشعف في حي الشجاعية حيث نسكن إلى مشفى الشفاء، حيث تلاقينا هناك.

تتابع "نهى": ذهبنا إلى مدارس الشيخ رضوان فأعطونا فرشتين أنا وزوجي وبنات حماتي وحماتي كنا عشر أشخاص، كنت أفترش جلبابي وأنام عليه على الرغم من أنني نفساء في تلك الأيام، فلم تعطيني العائلة لخصوصية وضعي فرشة لأنام عليها وطفلي.

كان المركز يفتقد إلى أدنى مقومات الحياة الإنسانية، ليصبحوا فريسة الجوع والعطش والحر والبرد والحرمان، وعاودوا إلى أذهانهم تجربة النزوح واللجوء والتي لا زالت حاضرة في مخيلة من عاشوها ومن سمعوها وقرؤوها، فلك أن تتخل غرفة تتشارك فيها مع خمس عائلات، تقريبا 50 شخص ولا تتجاوز مساحتها الخمسين مترا، تتشارك فيها مع عائلات لا تعرفهم، يحدك بينك وبين تلك العائلات قطع من القماش.

الآن تعتبر "نهى"أن الوضع أصبح أحسن من ذي قبل خاصة وأن المدرسة قد خفت وأصبحت مستقلة بصف

لوحدها في مدرسة ذكور الزيتون الأساسية الدنيا "ب" بمنطقة تل الهوا، إلا أنها لا زالت تعاني من عدم الخصوصية فحمام يقع بعيدا عن صفها فتستحي أن تستحم فيه مما يجعلها أن تحمل الماء لصفها، فعيــون الرجال الذين يجلسون قبالة الحمام تلتهم كل من تدخل الحمام وتخرج منه، وتشبه من تستحم هناك كمن تستحم في حمام في الشارع.

وعن التغذية في مركز الإيواء تقول "نهى": بداية كانت الحصة الغذائية عبارة عن معلبات البقوليات التي يتم توزيعها بعد العصر بعد أن نتضور جوعا، والآن الأرز مطبوخا وعلى الأغلب يكون غير ناضجا كفاية، وشخصيا لا أحب أن أتناوله.

"نهى" اليوم ليست كالأمس، أصبحت عصبية، تتضرب ابنها على أتفه الأسباب الذي جعل من ابنها عدوانيا، لم تعد نشيطة.

ولم تقف معاناتها عند هذا الحد فزوجها الذي منعها من زيارة أهلها، بسبب أهلها الذين لا يزورونها، فعلى الرغم من أن بيت أهلها قد تدمر في العدوان الأخير، فأخيها لا يرغب بزيارتها ويمنع أهلها من زيارتها خشية من أن يُقال أن له اسم في مراكز الإيواء، معتبرا أن زيارته لمركز الإيواء قد يضر بمركزه الاجتماعي.

وتضيف "نهى": زوجي يقول لي: إذا ذهبت لزيارة أهلك فلا ترجعي، والآن أعيش بين نارين، نار شوقي لأهلي ونار زوجي وأولادي، فأهلي الذين يسكنون ليس ببعيد عن المركز لا أراهم، وإنما تواصلي معهم عبر الجوال فقط، كما أن رصيدي ليس دائما مشحونا.

والظلم لم يقف حده فبيتها المدمر تدمير جزئي بليغ غير صالح للسكن بحسب تقرير وزارة الإسكان، لكنها لم تستلم وزوجها أي مساعدة لبيتها كون الأرض مسجلة باسم سلفها الأكبر-على الرغم أن الأرض تعود لوالد زوجها- الذي يسكن في بيت آخر وبحسب قولها أن "سلفها" انتهز هذه الفرصة ليأكل عليهم كل مستحقاتهم من المساعدات كان آخرها مستحقات الإيجار.

ويبقى الأمل يلاحق "نهى" ومثيلاتها في أن يتغير الحال إلى أحسن حال، وأن تتم حل مشكلتهم بسرعة أكبر من ذلك، وأن يعاملوا بكرامة، والأهم من هذا كله هو المسارعة في الإعمار، فالأمور تزداد سوءا كلما مر الوقت.

"آية" في مواجهة المخرز

جمعت أوراقها،، وما تبقى من ذكريات جميلة،، باتت وحيدة مع ذكريات حزينة،، عيناها تشتاق لرؤيته،، قلبها لا زال يخفق بحبه،، تحتضن أجساد صغيرة،، بملامح بريئة وعيون لا تفهم ما أحل بها،، زرع القهر بداخلها أبراجا من الأحزان،، بدّل ابتسامتها دموع حارقة،، كسرشوكتها،، التفتها أيدي الطامعين في فتات لا تغني عن فقد حبيب رحل،، ولا عن مسؤولية ثقيلة تحملها على أكتافها،، "آية" فتاة لم تبلغ العشرين عاما، أم لثلاثة أطفال وزوجة شهيد، وضحية طمع، تناطح من أجل الحفاظ على أبناءها وأموالهم.

البداية

أثناء العدوان وبعد أن طلب منا الاحتلال الإسرائيلي ترك منازلنا من خلال المناشير التي ألقتها طائرات الاحتلال بالإضافة إلى حجم الخط المتزايد في منطقة الزيتون شرق مدينة غزة، قرر زوجي وعائلته بترك البيت والذهاب إلى بيت أقاربهم في منطقة الشيخ رضوان، وفي بيت الأقارب كانت زحمة، وصراخ الأطفال ودوي الانفجارات.

تقول "آية": لم يرحم عمي "حماي" الوضع الذي كنا نعيشه، طلب مني أن أساعد أطفالي على النوم الذين صحوا لتوهم، وعندما أبلغته بذلك وأمام جميع من في البيت ضربني، وأخذ يشتمني، وعندما سمع زوجي صراخه عليّ حيث كان في شقة أعلى، أخذني إلى بيتنا في الزيتون تجنبا للمشاكل، وعلى الرغم أن جل السكان كانوا قد أخلوا، إلا أنه آثر البقاء.

وقبل استشهاده بأيام طلب مني أن نترك البيت ونذهب إلى مكان أكث أمانا، ذهبت إلى بيت أختي، وغاب أكثر من ثلاث أيام دون أن أسمع عنه شيئا، وفي اليوم الرابع جاء ليودعني وأولاده، ويأخذني إلى حيث أهله متواجدين. وبنبأ استشهاده بدأت رحلة العذاب والمعاناة، فقد فقدت حبيب الروح، سندها في الحياة، رفيق دربها، تركها لدنيا لا ترحم تلاطم قلبها الضعيف.

تتابع "آية": بعد أن استشهد زوجي أخذت جواله كذكرى منه حتى استذكره كلما استخدمته، فأترحم عليه، لكنني لم أهنا فما أن رحل عنا أصبح الجوال لعبة الجميع الكل يريده، ولكنني تشبثت به.
انتهى العدوان وعاد الجميع إلى بيوتهم، ورجعت إلى بيتي، وفي تلك الأثناء رن الجوال ردت سلفتي التي أبلغتني أن المتصل مسؤول زوجي ويريد أن يرسل مبلغا من المال قدره 150$، أبلغت عمي بالمكالمة، وبعد أن جاء الرجل أخذ عمي "والد زوجي" كامل المبلغ ولم يعطني أي شيء وطلب مني شريحة زوجي وهويته، وعندما لم أوافق صرخ في وجهي، وشتمني، وضربني، وطردني من البيت.
تدخل رجال الإصلاح لأعود إلى البيت وفعلا رجعت إلى بيتي، وهنا بدأ عمي يطالبني بعمل توكيل عن كل المعاملات التي تخص زوجي الشهيد وأولادي، ولكنني رفضت فضربني وطردني مرة أخرى، لتعاد المشكلة إلى رجال الإصلاح.
تقول "آية": حكم رجال الإصلاح بما فيهم المفتي، بأن آخذ في الشهر 800 شيكل فقط مصروف للأولاد، وباقي المصروفات — من كهرباء وماء وغاز- على عمي وهو من يتوكل في كل ما يمكن أن يأتي للشهيد وأبنائي، وتكتب الشقة باسم أولادي.
لكن ذلك لم يحدث حيث أنه كان يطالبها بأجرة الطريق مضاعة إذا ما أوصلها إلي أي مكان، إضافة إلى جرة الغاز عندما فرغت طلب منها أن تدفع ثمنها، تبين لي أن هناك نوايا غير مستحسنة.
وتزداد وتيرة المشاكل حول مستحقات الشهيد وأبناءه مع كل مبلغ يأتي، تضيف "آية": فعندما طلع مبلغ وقدره 1500$ من إحدى المؤسسات، وطبعا كان المبلغ باسم زوجة الشهيد استلمتهم، ولكنه طلبهم مني، وعندما لم استجب له فقد قررت أن أذهب إلى المفتي ليحدد لمن المبلغ ونصيب كل فرد، ضربني وشتمني وطردني مرة أخرى، وعندما عدت للمؤسسة لاستكمال بيانات وجدته أمامي ولم يرحمني، ضربني وشتمني وصرت أجري بسرعة جنونية هاربة منه ومن كلماته البذيئة التي كانت تنهال عليّ كمطر الشتاء.
ولم تتوقف معاناة آية عند هذا الحد ففي المؤسسات التي تكفل الأيتام تجده قد سبقها، وعند تعبئة البيانات يحاول أن يتلاعب على المؤسسة بأن الأولاد في رعايته، ويرفض أن يزودهم برقم جوال آية، هذا ما حدث مع مؤسسة أخرى التي رفضت أن تعطيه أي مبلغ مالي لأنهم يسلموا المبالغ إلى الحاضنة.

تقول آية": في البداية كنت أي مبلغ يأتي أعطيه إياه وفي كل مرة أعطيه يأخذهم دون أن يعطيني أي شيء، أدركت بعدها أن مصير أموال أولادي الضياع لا محالة.

وتستمر المعاناة

كانت ليلة 2014/12/29م في حوالي الساعة العاشرة، اشتد الخلاف بيني وبينه عندما طلب مني أعمل توكيل له ورفضت ذلك مرة أخرى، فانهال علي ضربا بحذائه تارة، وبصفعي على وجهي تارة، وبشد شعري تارة أخرى، وشتمني، وطردني، واتصلت على أبي في تلك الساعة المتأخرة ليأخذني عنده، ومنعني من أخذ أي شيء بيتي سواء لي أو لأطفالي.

وليتدخل رجال الإصلاح مرة أخرى، وليحكموا بأن كل ما يأتي للأطفال من مستحقات من جمعيات توضع في البنك ويكون الجد والأم كلاهما وصيان على تلك الأموال ولكن لا أحد يستطيع أن يتحكم فيها.

ولا تزال جلسات رجال الإصلاح لحل الإشكاليات العالقة بين "آية" وعمها إلى يومنا هذا.

"أحلام" الفقر والقهر رفيقاها

"أحلام" حالها كحال المئات من الفلسطينيات اللاتي خرجن من بيوتهن مع عائلاتهن تحت ضرب المدفعيات والطائرات، خرجت والخوف والموت يلتحفها وعائلتها.

ففجر يــوم 2014/7/17 م كان بداية لرحلة عذاب ومعاناة للمواطنة "أحلام" عندما اجتاحت قوات الاحتلال الإسرائيلي بلدة بيت حانون التي تقطنها وعائلتها وعائلة زوجها، عندما قصف منزل جيرانهم، وصوت يبدو أنه من قوات الاحتلال الإسرائيلي ينادي: "اطلعوا من المنازل أنتم بأمان".

لبست ملابس الصلاة بسرعة جنونية هي وبناتها، وما أن فتحت باب الدار لتفاجأ بأن كل بيت حانون بتطلع من بيوتها.

خرجت وأولادها إلى مدرسة بيت حانون تابعة للأنروا، وفي المدرسة لم تتحمل أحلام الوضع حيث المئات في المدرسة، لترجع إلى بيتها في ذات الصباح، وقبل أن تجلس باغتها صاروخ من مدفعية أسقط حائطا في بيتها وأصيب طفلها في رأسه، ولم يستطع الإسعاف التقدم لإسعاف طفلها وغيره ممن أصابتهم شظايا المدفعيات، وبمساعدة أحد الجيران الذي حمل الطفل فارا من الموت منقذا الصغير ليوصله للإسعاف، في حين لم تتمكن أحلام من لبس حذائها وغطاء رأسها.

تقول "أحلام": كنت أتدحرج على الأرض لأنقذ نفسي من الموت الذي يلاحقني، وبأعجوبة نجوت، وعدت إلى المدرسة الغربية مرة أخرى.

الموت يلاحق "أحلام" فهل نال منها ؟ تقول "أحلام": جاء وفد من الصليب الأحمر وطلب منا ترك المركز، فتجمع الناس في ساحة المركز منتظرين باصات الصليب الأحمر فباغتنا صواريخ المدفعية.

وبينما تتحدث تنهدت تنهيدة عميقة استذكرت المجزرة التي وقعت في مركز الإيواء قائلة: "شيء فظيع، فوق الوصف، بحر من الدماء، وأشلاء تتطاير، رائحة الموت تنبعث من كل مكان، صراخ يدوي، هلع يعصر الجميع، خوف ترتجف منه الأجساد، أطفال فقدوا ملامح الطفولة، أمهات تجمع أفلاذها، وبحــركة مدت

يدها إلى ملابسها في إشارة منها كيف كانت تمزق ملابسها وتساعد الجرحى في المركز لإيقاف النزيف بمساعدة من بقي على قيد الحياة ولديه رباطة جأش.

في تلك اللحظات كانت "أحلام" على يقين أنها مفارقة وأطفالها الدنيا لا محالة.

تركت أحلام مركز بيت حانون، ولكن بقيت آخر لحظات عاشتها فيه تلازمها في يقظتها ونومها، انتقلت بعد ذلك إلى مدرسة حلب "مركز إيواء"، لتبدأ رحلة من عذاب بنكهة أخرى، لتعيش في غرفة هي وزوجات زوجها "ضرايرها" وأولادهم و 3 عائلات أخرى، لتزداد المشاكل بينها وبين زوجها وزوجاته لتنقل نفسها لمركز آخر عله يكون أقل مشاكل.

تتابع "أحلام": أثناء العدوان جاءت لجنة لتقييم الأضرار، ولأنني أنا من تعبت على البيت سجلت اللجنة البيت باسمي، وذهبت إلى البريد لأستلم 2000 دينار كمساعدة رمزية عن الأضرار، وتضيف بنبرة أسى: "طسني القتلة — تعني زوجها- عند البريد فأغمى عليا وأخد مني الألفين دينار"، فأخذني إبني الذي كان يرافقني إلى المشفى، لأعلم بعد ذلك أنه قام بتوزيعهم على ضرايري، مما زاد لدي الألم حيث أنني أنا من فقدت بيتي بالكامل ولا آخذ شيء، فتدخل رجال الإصلاح ليعديوا لي المبلغ ولكنه أعادوا فقط 500 دينار.

ورجعت للمركز، وصار يحسب بالورقة والقلم الأضرار وما نصيب كل واحد تضرر، وكيف سيكون الإعمار، فَغَيَرَ قسيمة الدار، ولا أعلم ما بداخله قال أنه سيعطيني 50 متر لأبني عليهم ورفضت الأمر وقلت بأن الوكالة هي من ستعمر لي.

وتتابع "أحلام" بحسرة خنقت عبراتها: ذات يوم طلب مني أن أذهب إلى البيت بسبب وجود صحافة تقوم بتصوير البيت، وعندما ذهبت كان المصورون قد غادروا، ولما سألته: ماذا قالت الصحافة؟، قال: لم تقل شيئا، فسألني: "شفتي الكباية اللي كانت هان"، قلت: لا، لأفاجأ بحجر أصاب فمي – كان الحجر من ابنه- وطرحني أرضا واضعا رجله على رقبتي، ثم جاء بحديدة من آثار الردم وصار يضربني بها بكل ما أوتي من قوة، لدرجة أنه سحب عبائتي وغطاء رأسي وحذائي ومحفظتي، فجاءت إحدى الجيران التي شهدت الحادثة مصرخة في وجهه: قبل قليل جاءت وأسرعت لضربها، حاولت أن تهدأ من روعي وأخذتني إلى بيت أحد الجيران الذين أعطوني عباية وغطاءا لرأسي، وأوصلوني إلى المركز لأفاجأ به هناك فلم يكتف ما فعله في

البيت المدمر حيث أكمل تدمير حياتي بكاملها، طردني وأولادي من المركز على مرأى ومسمع من في المركز، فأسعفها أحدهم ليقلها وأولادها إلى بيت أهلها.

وتكمل "أحلام" معاناتها عند أهلها حاولت أن تستأجر بيت لها ولأولادها ولكن ارتفاع أسعار الاجارات حالت دون ذلك لتعيش اليوم على السطح بغرفة صنعتها من النايلون الذي استلمته من الصليب الأحمر، لا تقي حر الصيف ولا برد الشتاء، وتتابع "أحلام": أن أهل الخير بدءوا بتقديم المساعدات لها كبعض الاحتياجات الضرورية من فرشات وأغطية وبعض مستلزمات المطبخ.

مراكز الإيواء المعاناة واحدة وإن اختلفت ، وترى "أحلام" أن وضعها فوق السطح تستظل السماء أفضل من مراكز الإيواء التي تفتقد إلى أبسط مقومات الحياة الإنسانية، ليصبحوا فريسة الجوع والعطش والبرد والحرمان، أعادت إلى أذهانهم تجربة النزوح واللجوء والتي لا زالت حاضرة في مخيلة من عاشوها ومن سمعوها وقرؤوها.

في مركز الإيواء كانت تأتي المساعدات الغذائية لا تأخذ منها إلا الفتات لا تسمن ولا تغني من جوع، ورغم أن الوجبات المقدمة هي ذاتها معلبات الفول، ومعلبات اللحمة، حيث كان زوجها من يستلم المعونات، كانت تنام وأولادها السبعة على فرشة، كما عدم توفر الخصوصية في تلك المراكز.

"أحلام" لا تعرف إذا كانت مطلقة أم لا؟ "أحلام" لا تعترف المنظمات الإغاثية بها، زوجها أو طليقها لم يتعرف عليها ولا على أولادها — أولاده- منذ أن طردهم إلى اليوم.

تنتظر حلا من السماء ينقذها مما هي فيه، تخشى أن ترفع قضايا في المحاكم تحرم من أولادها، كون غالبيتهم حضانتهم لأبيهم.

ما بين الموت والحياة شعرة

عَلَى هَذِهِ الأَرْض مَا يَسْتَحِقُّ الحَيَاةْ: عَلَى هَذِهِ الأرض سَيّدَةُ الأُرْض، أُمُ البِدَايَاتِ أُمّ النِّهَايَاتِ. كَانَتْ تُسَمّى فِلِسْطِين. صَارَتْ تُسَمّى فلسْطِين. سَيّدَتي: أَستحِقُّ، لأَنّكِ سيّدَتِي، أَسْتَحِقُّ الحَيَاةْ.

كلمات للشاعر الفلسطيني محمود درويش جسدتها سيدة فلسطينية أحبت الحياة، واشتمت رائحة الموت، روحها لمسته ولكن مشيئة الله أعادت إليها الحياة، فأن تظل تحت الأنقاض لأكثر من ساعة وتبقى على قيد الحياة شيء من دروب الخيال.

بدأت "رضا" 32 عاما وهي أم لأربعة أطفال قصتها: انتهت تهدئة الثلاثة أيام صبيحة يوم الجمعة الثامن من أغسطس وكان من المفترض أن نخرج أنا وأبنائي وعائلة أختي التي تقطن بجواري من منازلنا إلى بيت الأهل؛ لأن منطقتنا كانت مستهدفة طيلة أيام الحرب كونها محاطة بأراض زراعية والقليل من البيوت المجاورة؛ لكنّنا اتفقنا أن نتناول طعام الغداء أولاً ثم نبدأ بالتجهيز لمغادرة البيت، وحوالي الساعة 2:40 بعد الظهر حصل انفجار مفاجئ في إحدى غرف منزلي بينما كنت أتواجد أنا وبناتي في الصالة، أُصبنا بالذّعر وخرج ابني حمزة من غرفته (غربية الاتجاه) مذعوراً ويصرخ: "ماما.. ماما! قصفونا!!! وأنا نايم في الأوضة!!"..

وتضيف "رضا": قمت بالإتصال من فوري بأمي وأخبرتها أننا نتعرض للقصف ونحتاج إلى سيارة اسعاف لتخرجنا من المكان (المكالمة كانت بضع ثوانٍ فقط)، ثم طلبت من أبنائي أن يبقوا على الدرج لاعتقادي بأنّ الاستهداف كان بواسطة قذيفة مدفعية وأنّ الدرج سيكون أأمن مكان إذا ما سقطت قذيفة مدفعية أخرى بينما أدخل أنا لأحضر ملابس الصلاة لنرتديها أنا وبناتي قبل خروجنا من المنزل.

لتفاجأ رضا بأن ما سمعته كان صوت صاروخا اخترق سقف الغرفة واستقر في وسطها محدثا حروقا في المكان، ولا يبعد عن سرير إبنها حمزة سوى متر واحد تقريبا، فتسمّرت لبرهة وقالت: "يا حبيبي يابني هادا الصاروخ واقع في اوضتك وانت نايم !!

أيقنت رضا حينها أن البيت سيتم قصفه فأسرعت لترتدي ملابس الصلاة، وكان صاروخا من طائرة

وتتابع رضا: كل شيء يسقط عليّ حتى دُفنت تماماً وفوقي أكوامٌ من الأنقاض، كلُّ ذلك حدث في أجزاء من الثانية حتّى تداركت أنها لحظة الشهادة فنطقت بأشهد أنّ لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، فرحت جدا حين تمكنت من نطقها فقلتها مرة ثانية وثالثة وعاشرة، كان هنالك فراغ صغير كقبضة اليد أمام أنفي وفمي فقط بينما كان باقي وجهي وكامل جسدي مضغوطاً بالرمل والطين والحجارة حتّى تنمّلت أطرافي وأنا على جانبي الأيمن.

كنت أتنفس بصعوبة بالغة جداً ولم أتوقف عن التشاهد والاستغفار ... فكّرت في ابنائي وتمنيت أن يكونوا بخير وأن يخفف حزنهم هم وأهلي عليّ، ومرّ بخاطري شهداء الإعداد والمقاومة من قضوا تحت الأنفاق بسبب الردم أو الاختناق، وأولئك الذين قُصفت بيوتهم فوق رؤوسهم مثلي.. كان الضغط رهيباً على جسدي والأرض ساخنة جداً بفعل الموجة الانفجارية للصاروخ، انفجرت براميل المياه التي كانت على السطح وتسرب الماء — تحديداً- فوق المنطقة التي كنت مدفونة تحتها فتبلّل جسدي ممّا خفف عنّي وطأة حرارة الانفجار.

رضا لم تفقد وعيها للحظة وكانت تستغيث بالله ، وبدأت تسمع أصواتا بعيدة، جعل بصيصا من الأمل ينبعث لديها أنها قد تكون من الأحياء، إنها أصوات طواقم الدفاع المدني، وهم يحاولون البحث عنها، حتى حتى سمعت صوت الكبّاش وهو يعمل فوق المكان الذي كانت مدفونةً تحته بعد أن أنهوا قبْلاً منطقتين أخريين ظنّوا تواجدها تحتيهما.

وتابعت "رضا": تمكن رجال الدفاع المدني من أخراجي وبدأوا بالتهليل والتكبير ثم أعلنوا أنني لازلت على قيد الحياة بعد أن كانوا مسبقاً قد أعلنوا خبر استشهادي وبعد أن كانت العائلة قد هيأت نفسها للخروج في الجنازة.. أخرجوني ثم نقلوني للمشفى، بدون كسور أو رجوح بالغة أو تشوهات، كانت بعض الكدمات والتورمات والآلام خاصة في الساقين والوجه.

رضا رافقها الموت وكاد أن يصحبها معه، ولكن القدر منعه، أدركت أن لكل بداية نهاية بالمعنى الأعمق والأكبر من التصور الذهني المجرد عندما عاشت لحظات همت الروح بمفارقة الجسد، الأمر الذي جعلها تفكر أن الدنيا شيئا عظيم الصغر.

دمرت طائرات الاحتلال البيت الذي تسكنه وأسرتها منذ أكثر من 4 سنوات بدون سابق انذار ضاربة بعرض الحائط المبادئ الأساسية للقانون الدولي الإنساني أهمها التمييز بين الأهداف المدني والأهداف العسكرية.

رضا لم تكمل أقساط بناء البيت وتجهيزاته، ولم تستفيد منه لاحقا، تعيش وأولادها الأربعة في منزل أهلها، "البيتُ وطن، ولا شيءَ يُعيد الروحَ لجسدٍ منهك كـ "الوطن" وإنْ كان رُكاماً " بهذه الكلمات عبرت عن وطنها المدمر.

"نبيلة" ما بين مطرقة الزوج وسندان الأهل

لم يجف الدمع من عينيها منذ صبيحة يوم السبت 2014/8/21م، يوما تتذكر تفاصيله بكل جزء من الثانية، كعادتها صبيحة كل يوم أن تقوم بأعمال المنزل كأي امرأة غزية، ولكن ما يميز هذا اليوم هو توفر التيار الكهربائي الذي أصبح كعملة نادرة طيلة أيام العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، تنشطت وبدأت بالغسيل قبل هروب هذا الضيف (الكهرباء)، شغلت غسالتها المتواضعة، وأثناء ذلك سمعت صوتا من بعيد ينادي بأن بيوت أحد الجيران مهددة بالقصف والتدمير من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي.

لم يكن المنادي يقول أن بيتها المستهدف بل بيتا آخر بمحيطه، ولكنها شعرت في قرارة نفسها أن بيتها سيصبح ركاما بعد دقائق، تركت كل شيء، وبدأت تصرخ على أولادها بأن يتركوا البيت، حملت حفيدها الذي يبلغ من العمر أسبوعان فقط، وأسرعت هاربة، تفاجأت بخروج زوجها الذي يعاني من الغضروف قبلها.

هرب الجميع بسرعة جنونية من البيت، وسلمهم الله جميعا من موت كاد محقق لجميع من في البيت، وبدأت رحلة الشقاء والتعب كان أولها، الإحساس بأن نار جهنم قد اشتعلت في المكان وأنهم راحلون عن الحياة لا محالة، ورؤيتـــهم لتعب 20 عاما أكلته النيران والصواريخ بثوان معدودة ، نبيلة لم تبلغ بأن بيتها سيقصف، قصف الاحتلال بيتها بدون وجه حق .

تقول نبيلة: أصبت بشظايا في رجلي ولم اشعر بها إلا بعد مرور أكثر من ثلاث ساعات، وكذا بناتي اللاتي أصبن بشظايا لم يشعرن بها إلا بعد أن أصبحت كل واحد تتفقد ما أصابها، فجميعنا خرجنا حافيي الأقدام، فلا وقت للبحث عن أحذية في ذلك الوقت".

ومنذ تلك اللحظة وعائلة "نبيلة" تعاني من التشرد وعدم الإحساس بالأمان، فبعد قصف البيت توجهوا إلى بيت أحد الأقارب ولكن لكبر العائلة من ناحية، والإحساس بالثقل على الناس، جعلهم يتركوا البيت لينتقلوا إلى مدرسة الزيتون الأساسية للذكور ب، وعلى الرغم من وجود بيت لأبيها يسكنه خال أخوانها.

وفي مدرسة الزيتون كانت "نبيلة" تعاني الأمرين، زوجها الذي كان دائم الصراخ والمشاجرة معها على أتفه

الأسباب أمام من يعرف ومن لا يعرف، تستذكر أحد المرات التي صفعها على وجهها مصرخا في وجهها: "عليا الطلاق ما انتي قاعدة في المدرسة إلا إذا اعتذرتي لإمه.(المسؤول عن المدرسة).". وذلك عندما حاولت "نبيلة" أن تطالب بحقها على حد تعبيرها حيث تقول: جميع من في الصف استلم أغطية سوانا، وعندما ذهبت للمسؤول لم أجده في غرفته، وجدت أمه فعاتبتها.

تتابع: "مرات كثيرة خلاني زي الهسهسة قدام الناس"، الأمر الذي جعلها تفكر جليا في الذهاب إلى بيت أبيها رغما عن ساكنيه.

وعند سؤالي لها منذ البداية لم تذهبي إليه، قالت: لأن العدوان لم ينته وقتها وكان هناك أناس نازحين في بيت أبيها، إضافة إلى إهمال الجهات المختصة بالمهدمة بيوتهم وغير متواجدين في مراكز الإيواء، كما أنني لا أحب المشاكل ولابد لي من أخذ الموافقة من إخواني الذين يعيشون في الكويت، وعندما اتصلت فيهم وشرحت لهم وضعي، أقروا لي بغرفتين على أساس أن هناك أناس في البيت ممن تركوا بيوتهم أثناء العدوان، وما أن هدأت الأوضاع، ورجع الناس إلى بيوتهم، لم أتمكن من التمتع في بيت والدي حيث أن خال إخواني الذي يعيش في شقة والشقة الأخرى مسيطر عليها ولم يترك لنا إلا غرفتين، خنقتها العبرة برهة واغرورقت عينيها بالدموع، في تلك اللحظة قال ابنها: "الدار دار أبونا وإجو الغرب يطردونا"... صرخت في وجهه قائلة: "شو بدك إيانا نسوي؟؟".

حاولت مرة أخرى أن تتصل على إخوانها حتى تتمكن من أخذ كامل الشقة كون عائلتها تتكون من 14 شخص عائلتها وعائلة ابنها الذي يعيش معها، ردوا عليها: على ابنك ومرته أن يستأجر، وانتي دبري حالك بغرفتين.

بيت أبيها المبني على 500 متر من أصل دونم، وتحيط به حديقة جميلة في مكان راق بغزة، لا تستطيع التحكم في أبسط الأشياء فيه، على الرغم من أن والدها من بنى وعفش البيت بالكامل، فهي دائما ما تسمع كلمات تضايقها، وفي ذات الوقت لا تستطيع الدفاع عن نفسها خوفا من تبعات قد لا تكون حميدة على حد تعبيرها.

جسدها المنهك بالهموم بات مرض السكري والضغط ضيوفا عليه.

"نبيلة" تنتظر إعادة الإعمار على أحر من الجمر، فلا مكان في الدنيا يمكن أن يشعر به الإنسان بالراحة غير بيته.

"سامية" بين فكي الرحى
الترمّل والطمع

ليل طويل أسود قاتم، تمر الساعات خلاله متثاقلة، حزن وأسى، ألم فراق حبيب دفن شبابها مع دفنه، رحل وأخذ معه إبتسامتها، تحاول أن تلملم جراحها، يزداد ألمها يوما بعد يوم، لم تعد ترى الضوء دون إبتسامته التي تزين شفتيه، لتصبح "أم اليتامى" بدلا من "أم الأولاد"، يكبر الأطفال وتكبر مسؤولياتهم، تؤدي دور الأم والأب رغما عنها، تحاول انتهاشها أيدي المقربين طمعا في أموال يرسلها أهل الخير لإعالة أطفال حُرموا من حنان أب.

"سامية" شابة فلسطينية أم لثلاث أطفال، تسكن في منطقة الزيتون شرق مدينة غزة، تروي رحلة العذاب التي تعرضت لها في العدوان على غزة، حيث بدأت صبيحة يوم 2014/7/20 وبالتحديد بعد أحداث منطقة الشجاعية، وتركها بيتها والذهاب لبيت أهلها، وقُتل زوجها أثناء محاولته المساعدة في إخراج إخوانه من البيت حيث أصيب من شظايا صاروخ استهدف شبان كانوا قريبين من البيت.

تقول "سامية": تعرّض البيت الذي أسكن فيه لشظايا مدفعية أحدثت أضرارا في سقف البيت المكون من الزينكو، وجاءت لجنة وقيمت الأضرار ب 19كيس اسمنت على أساس تصليحه، وعندما طالبت عمي بتصليح السقف، رفض مطالبا إياي بدفع مبلغ 1000 دولار حتى يتسنى له أن يقوم بإصلاح السقف، ففي الشتاء كانت مياه الأمطار تنهمر في البيت بسبب الثقوب التي في السقف جعلتني أترك بيتي وأتجه إلى بيت أهلي خوفا على الأطفال، وخاصة أنني كنت حاملا، وأنجبت طفلي الثالث في شهر يناير 2015 ، ولا زال يرفض إعطائي الاسمنت ويرفض أن يعمر السقف، أتنقل بين بيتي وبيت أهلي، عندما يكون الجو صحوا، أذهب لبيتي وعندما يكون ممطرا أذهب لبيت أهلي.

وتتابع "سامية": يعتقد عمي والد زوجي، بأنني أصبحت من أثرياء العالم، فكثيرا ما يأتي إليّ ويطلب مني المال بحجة أنه لا يمتلكه ويريد أن يشتري أكل، وكنت أعطيه في كل مرة، لدرجة أنه طلب مني أن أوفر له ثمن حذاء، دائما ما يسمعني "أنا ربيته 28 سنة" طامعا في مستحقات أطفاله الأيتام.

ولم تنته المطالبات عند هذا الحد فقد تقدم "عمها" لخطبتها لابنه الذي غير أهل للتصرف بشكل كامل، ورفضت "سامية" فعاود الطلب مرة أخرى لابنه الذي يقاربها سنا، ولازالت ترفض.

"سامية" تنادي بأن تتغير النظرة السلبية للأرملة، وترفض أن تكون كإرث يتوارثه الإخوة بعد أخيهم بحجج بعيدة عن الأهداف الأساسية.

رحل قبل أن يحل مشاكلي

أنهكت الأحزان قواها، تحطمت آهاتها في صدرها، قلبها ينزف ألما، عينيها تدمع، عقلها أنهكه التفكير، تحتضن في قلبها جراحها، تضم عيونا صغيرة، وأيدي رقيقة، تعوضها عن بؤس الحياة، وحيدة بين ذئاب، يعوضها عن ذلك كله نظرة بريئة من أطفالها.

"إسلام" لم تبدأ رحلة معاناتها باستشهاد زوجها الذي كان رقيقا ولطيفا معها ومحبا لها، بل منذ زواجها بسبب التدخلات في حياتها الخاصة، والاعتداء عليها من قبل أهله، كان دائم الدفاع عنها، مما جعلها تذهب إلى بيت أهلها تجنبا للمشاكل، وانتظارا لحلها من قبل زوجها، ولكن جاء العدوان وأخذ الزوج إلى اللا رجعة.

تقول "إسلام": وهي أم لثلاث أطفال أكبرهم خمس سنوات: على الرغم من أن زوجي الشهيد كان يمتلك بيتا إلا أنني لا أستطيع أن أضع قدما فيه، فبيتا طردت منه وزوجي حي كيف لي أن أدخله بعد أن فارق الحياة، أعيش وأطفالي في بيت والدي الذي يتسع للحب.

تتابع "إسلام": إن بيتها تضرر في العدوان 2014 كونه في منطقة الشجاعية، وهي لا تعلم أي شيء عن تلك الأضرار، هل تم إصلاحها أم لا؟ من يسكن فيه؟ كل ما تعرفه أنه غير مسموح لها أن تعيش فيه وأطفالها.

حاولت "إسلام" أن تحل الإشكالية وتذهب إلى بيتها، ذهبت إلى أحدى المؤسسات لتتوسط بالخير بينها وبين أهل زوجها لتعود إلى بيتها، وكان الرد من أهل زوجها بالسماح والقبول ولكن في غرفة واحدة في منزل العائلة، وهذا ما تعتبره "إسلام" مستحيلا فلم تكن تعيش بأمان ولها بيتها المستقل وزوجها على قيد الحياة، فكثيرا ما تعرضت للضرب والإهانة من والد زوجها "حماها"، وحماتها وبنات حماتها، وسلفها الأكبر، الذين كانوا يختلقون المشاكل، ويطردوها من البيت، مستشهدة على ذلك بضربها في الشارع أمام الناس دونما أدنى رحمة.

"إسلام" ليست الزوجة الأولى حيث سبقها زوجتان طلقتا بسبب المشاكل المختلقة من أهل زوجها بعد أن أنجبت كل واحدة منهما ولد، هذا ما لم تكن تعلمه "إسلام" قبل زواجها.

حاولت أن تتكلم مع أحد الأقارب لعله يؤثر عليهم، لكنه رد عليها بإمكانية ذلك في حال أخذ هويتها الشخصية.

جدّهم لا يتعرف عليهم

تقول "إسلام": منذ أن استشهد زوجي إلى يومنا هذا لم يسأل عن الأولاد أحد، حتى بمكالمة هاتفية للاطمئنان عليهم، فأكثر من مرة وأكثر من مكان، أتقابل أنا وحماي في أماكن مختلفة، فلا ينظر إلى أحفاده أو يتعرف عليهم، لا بكلمة ولا بلمسة حانية كان من المفترض أن يربتها على رأس حفيده.

تتابع "إسلام" إن أحد المؤسسات تتبنى أطفال الشهداء وعندما ذهبت لتسجيل أطفالي، طلبوا مني حجة الوصاية، ومن الصعب جدا بل من المستحيل أن أحصل عليها، ولا أعرف إن كان سجلهم بعدي في تلك المؤسسة أم لا؟ ففي أكثر من مؤسسة عندما كانت تسجل لأطفالها أو تسأل عن بعض مساعدات لأطفالها تتفاجأ بأن العاملين في المؤسسة تبلغها بأن أطفالها قد أخذوا نصيبهم، لتعاود تلك الجمعيات تحديث البيانات كي لا تتكرر العملية.

وتضيف بأن الكثير من المؤسسات الخاصة بكفالة الأيتام ترفض أن تتعاطى معها كونها حاضنة وليست وصية على الأولاد، وتعلم جيدا أن عمها "حماها" يأخذ مستحقات أولادها، مستشهدة على ذلك بمبلغ700 دينار (1000$) من جمعية الصلاح لا تعلم عنهم سوى الملبغ، لم يصلها أي شيء.

أيضا بعض المؤسسات أعطت مساعدات للشهيد لم أر ولا أطفالي أي شيء من تلك المساعدات، فعلى الرغم أن لي نصيبا من تلك المبالغ، إن كثرت أو قلت.

"إسلام" لا تعرف ما مصيرها ومصير أولادها في ظل الظلم الواقع عليها، تتمنى أن يكون هناك إنصاف أكثر لقضايا وحقوق المرأة وخاصة الأرامل منهن، تنادي بأن تكون مصلحة الأطفال الأيتام فوق كل اعتبار.

مشـــروع

" التمكين القانوني للنساء وتعزيز حقوقهن "

ينفذ مـركز الأبحـاث والاستشـارات القانـونية للمـرأة مشروع " تمـكين وتعـزيز حقـوق النسـاء " في محافظة غـــزة, بتمـويل من برنامج تعزيز سيادة القانون فى الأرضي الفلسطينية المحتلة : العدالة والأمن للشعب الفلسطيني (2014 - 2017) .

الهدف العام:

المساهمة في تعزيز حقوق المرأة ومساواة النوع الاجتماعي في قطاع غزة.

الأهداف المحددة للمشروع:

1- زيادة قدرات المحامين/ات حول حقوق المرأة والمساواة بين الجنسين.
2- تحسين معرفة وفهم صناع القرار في مجال حقوق المرأة ومساواة النوع الاجتماعي.
3- زيادة وعي المجتمع والتوعية في مجال حقوق الإنسان للمرأة والمساواة بين الجنسين.

تدقيق واشراف

أ.زينب الغنيمي

- قصص بقلم خضرة حمدان من 8 الي 23
- قصص بقلم أمال الجبار من 25 الي 35
- قصص بقلم رزان المرهون من 37 الي 45
- قصص بقلم سمر صلاح عليوة من 47 الي 56
- قصص بقلم منال ياسين من 58 الي 69
- قصص بقلم هيا بشبش من 71 الي 87
- قصص بقلم وسام حسان من 89 الي 106

نبذة عن المركز

مركز مستقل تأسس في مدينة غزة كشركة غير ربحية ومرخصة تحت رقم تسجيل(563141852)من مجموعة من الخبراء في المجتمع المحلي من قانونيات وقانونيين وناشطات في مجال العمل النسوي والمجتمعي لتركيز الجهود لتطوير واقع المرأة الفلسطينية على المستويين القانوني والمجتمعي كمتطلب رئيسي لتحقيق العدالة والمساواة والديمقراطية في المجتمع الفلسطيني.

لسفة المركز:

تعتمد فلسفة المركز على فلسفة مرنة وايجابية... للمساهمة في رفع الوعي في المجتمع الفلسطيني للقضاء على التميز ضد المرأة في مواجهة الإرث المتراكم من الإقصاء والتهميش وهدر حقوقها القانونية كإنسان وذلك من خلال التوجه لمؤسسات صنع القرار لتضمين مفهوم المساواة في التشريعات والسياسات, وكذلك التوجه للنساء والرجال من مختلف الشرائح العمرية لتطوير وعيهم وثقافتهم إزاء إرساء مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الميادين.

ويعتمد المركز في سياسته وبرامجه مع جميع الأطراف ذات العلاقة على المستويين الرسمي والأهلي مستندا لتقديره لجهودهم التراكمية وانجازاتهم الهامة كمرتكزات على تحقيق أهداف المركز.

لمزيد من المعلومات الاتصال ب

العنوان فلسطين - غزة - الرمال – شارع خليل الوزير (اللبابيدي) - عمارة السعيد – الطابق الثالث

هـــاتف 2856357 (8) 970+

الجــوال 8887055(59) 970+

الفاكس 2856358 (8) 970+

البريد الإلكتروني cwlrc-pal@hotmail.com

www.cwlrc.ps

مركز الأبحاث والاستشارات القانونية للمرأة

Center For Women's Legal Research & consulting